القديس في أفريقيا



١٠ قروش
فى : ج.ع.م

القديس فى أفريقيا



سُور الأزبكية

عُمر زَينبْ يوسُف

القديس فى أفريقيا

تأليف : ليسلى تشارترلس
ترجمة : حسن شتا

الفصل الاول

كانت الامواج المتلاحقة لنهر الاودبيريرى تتدافع بين حافتيه المرتفعتين .. وهو الأمر الذى كان يجعل العبور من احدى الحافتين الى الأخرى غير متيسر .. وأما على الضفتين فقد كانت تنمو الاشجار الاستوائية الكثيفة والتى تلامس النهر وكأنها تحنو عليه بينما تزحف بعض الاعشاب منها فتتشابك فوق التربة فتصبح كالخناجر الحادة ..

ووسط هذه الاحراش الموحشة كان هناك ممر ضيق مهد له بضربات السيف .. وما كان هذا ليحول دون قيام الطبيعة بمحاولة اصلاح ما نزع منها ..

ووقف الرجلان يتأملان المكان وذلك بعد قيامهما بالتجول قليلا .. وأما الآن فقد راحا يتأملان تلك القنطرة التى تربط حافتى النهر .. وكان اكثر الرجلين سمنة قصيرا ذا قامة غير متناسبة ، ورفع قبعته وبعد أن مر بمنديله على رأسه المجردة من الشعر نظر بشراسة للرجل الذى أحضره الى هذا المكان .. وقال له بهدوء : — والآن يا ديدى ! ..

وكان المنادى عليه نحيفا ، طويلا ، يرتدى قميصا وبنطلونا قصيرا ، وكانت ملامحه تجعله شبيها بالحيوانات الليلية التى تحوم حول الحيوانات المفترسة فى محاولة للفوز بما تتركه هذه الحيوانات من بقايا ..

وردا على ملاحظة زميله فقد هز كتفيه واضاف

— ليست هناك أية مخاطر .. فقد عبرت القنطرة لمرات عديدة .

— وهل انت على ثقة بأنه ليست ثمه مخاطر قبل الوصول الى بغيتنا ؟ وماذا عن الزيكو ؟

ـ انهم لا يخاطرون عادة بالحضور الى هذه المنطقة الا اذا كان هناك ما يدعوا الى ذلك .

عندئذ قــال له الرجــل البدين والذى كان رئيس البعثة بلهجة جادة :

ـ حسنا .. سأمضي فى المقدمة وسوف تتبعنى ومعك جهاز التفجير .. أفهمت يا ديدى

ونظرا اليه الاخير بامتعاضــة ولكنه لم يلبث أن أذعن للأمر وقال له :

ـ حسنا يا دوك ..

وهكذا وطأت قدمى الدكتور بوجان القنطرة التى كانت قريبة من مياه الترعة .. التى كانت مختلطة بالطمى ـ حيث كان المطر قد هطل منذ قليل ـ وبالتالى جارفة للاغصان والجذور المقتلعة من الضفتين ... وفى تلك اللحظة مرق جذع شجرة وقد أثار دوامة عنيفة .. ولمرات ثلاثة توقف بوجان .. وراح يتفحص بعناية تلك الحبال السـميكة التى تمســك بقاعدة القنطرة واضطر للانحناء حتى يتمكن من دراسة هذه الحبال بطريقة أجدى ... واكتس وجهه المستدير بما ينم عن الفرحة حتى ان شاربه الأسود الصغير راح يهتز .. وما أن وصل الى الضفة الاخرى حتى أخذ ينتظر أن يقوم ديدى باتمام الامر المتفق عليه .. فقد كان يتعين نقل جهاز التفجير الى الناحية الاخرى .. وقد كان الجهاز فوق عجلات وكان من تلك الانواع المعدة للعمل فى كافة الظروف ومن أجل مجابهة كافة أنواع الاراضي وكافة المغامرات .. وأمكن لديدى أن يعبر القنطرة ومعه الجهاز ومن ثم عمل على اخفــائه تحت الاوراق المنســدلة من الاشجار الباســقة ... بينما راحت مجموعة من القردة تتصايح محدثة ضجة

عالية فوق راسيهما .. وقال بوجان لزميلة :
ــ علينا وقبل اى أمر آخر ازالة كل اثر للعجلات .
وبالاستعانة ببعض الاغصان استطاعا تأدية ما يريدان ، مزيلين الاثار المترتبة على مرور العربة الصغيرة الحاملة للجهاز .. وبعد ذلك قال بوجان لزميله بصيغة الأمر

ــ والآن .. هيا الى العمل ..
وبينما كانا ينزلان بعض الصناديق من العربة اذا بخاطر مفاجىء يعتريه ..

ــ الا تخشى ان تفاجأ برؤية جراى بيننا الآن ؟
ــ لا .. فانه عندما يغادر مكان البعثة فانما يكون ذلك ليوم على الاقل او ربما ليومين أو ثلاثة .. وأظنك قد شاهدته وهو يرحل منذ ثمانية واربعين ساعة .. اليس كذلك ؟

ــ اذن .. هيا بنا ..
وكان الأمر مرتبا متفقا عليه بينهما قبيل سفرهما ، ومع كل ما قد يعترض من مصادفات ولهذا فقد كانا يحافظان على الوقت ، ويعملان بجدية وحزم محاولين اغتنام كل دقيقة صامتين ، يعمل كل منهما على تنفيذ العبء المكلف به .. ولقد كان من البديهى أن يدرك من ينظر اليهما بأنهما يهدفان الى تدمير القنطرة .. فقد كانت نواياهما تدل على ذلك ، وبالتالى كان يسيرا على اى كان ان يدرك ذلك ببساطة .. واما بالنسبة لكاتب سيرة سيمون تمبلار الشهير بالقديس فيالها من نشوة ــ وذلك بتصور الاعمال التى يقوم بها خصوم المغامر وياله من حماس عند تخيل تلك اللحظات التى يعمل فيها بعض المجرمين على انجاز عمل قطيع باهدار

الدم او بسلب حيـــاة .. وهذه هى الحالة المطروحة امامنا اليوم .. فلو أن تمبــلار أراد اقتناص بوجـــان وزميله فانه انما يصل الى ذلك عن طريق الاستدراك وتحليل المعلومات المستقاة والاعترافات التى تفوه بها المجرمان ، وهكذا يعمل الكاتب على بعث تلك الساعة الاولى التى دفعت المجرمين الى ما قاما به من عمل وذلك على مرأى أصدقاء القديس العديدين ..

فهناك تحت شمس كانابا الساطعة .. وهى واحدة من أخريات مستعمرات بريطانيا فى قلب افريقيا ، كان الدكتور بوجان قد قرر الوصول الى الثراء بكل السبل .. ووجد المكان ملائما لتحقيق غرضه وخاصة وان كانابا كانت قليلة السكان ، نائية .. وهكذا اكتشف بوجان أن المكان الأمثل للوصول الى الثروة التى يحلم بها .. واما الان فقد كان بوجان راكعا فوق القنطرة يثبت بعض أصابع الديناميت تحت أخشاب القاعدة . ولم تلبث ان تمت العملية .. ومن أجل نجـــاح أكيد قام بوجان بوضع شحن اخيرة من الديناميت تحت الحبال السميكة التى تمسك بالقنطرة .. ووقف لاهثا وقد ارتدت قبعته الى الخلف وراح يتأمل عمله ثم قال معقبا ..

ــ هذا شىء ... رائع ...

وعاد يضطرب ثانية وذلك عندما سأل زميله وقد استدار ناحيته :

ــ أليس أمام جراى سبيل آخر ؟

واجابه ديدى مطمئنا اياه : ــ

ــ انه يســـتحال عبور النهر كما ترى .. وحتى عنـــدما يتسنى لجراى اللحاق بالبعثة فى وقت لاحق فاننا نكون قد ابتعدنا كثيرا فى اتجاه الشمال .

ـ حسنا .. والان فلنضع المادة المفجرة فى مكانها وعملا على مد الاسلاك بمنأى عن مكانها ، ثم تثبيتها باطراف الجهاز .. والقيا بنظرة أخيرة على القنطرة ، وضغط بوجان على الساق المعدنية الصغيرة الموجودة بالجهاز . وعم المكان صوت انفجار متواصل ، واخذت بقايا الاخشاب تتناثر عاليا بينما أخذت الاسلاك المعدنية تتلاعب فى الهواء كما لو كانت ثعابين ثائرة .. تتلوى بعصبية .. وولت العصافير هاربة وقد ألم بها الفزع ، وسمعت أصوات الحيوانات وهى تجرى فى الغابة وقد أصابها الهلع .. ولم يلبث الصمت أن عاد يخيم على المكان .. وقد غطى المنطقة البقايا التى تناثرت هنا وهناك ، وكانت خليطا من الالواح المكسورة والاغصان المهشمة والاوراق المتساقطة .

وغادر بوجان المخبأ الذى كان يحتمى به مع زميله متجها الى الحافة ـ وراح يتأمل بقايا القنطرة وهى تتساقط فو قالضفة المقابلة .. وتأكد من أن الطريق قد بات الآن مقطوعا .

وعلق ديدى بقوله : هذا رائع .

ـ هذا صحيح .. والآن على الدكتور جون جراى الذى يعرف بين الاهالى بأنه صانع معجزات أن يعبر النهر بقدميه .

ونظر ديدى وأضاف :

ـ وعلى كل فاننى أيضا آتى بالمعجزات وسترى ذلك بنفسك .

واخذا فى جمع الصناديق والادوات وكل ما من شأنه ان يدل على وجودهما ، والقيا بكل شىء فى العربة

الصغيرة .. ولم يتوقف بوجـــان عن التجول ببصره فى أرجاء المكان ولم تكن هنا كاية مخاوف على ملامحه ، فقد كان ليه ان يجابه المخاطر : أفلم يكن الآن فـــوق اراضى الزيكو ، وهم قـــوم متوحشون وآكلوا لحـــوم البشر على حد قول البعض .. وهنـــا فوق ارضـــهم يجب عليه أن يكشف عن سر الدكتور جراى .. هذا السر الذى يحمل بين طياته الثروة ..

وعلى النقيض من رئيسه كان ديدى قلقا .. حتى أنه كان متـــرددا فى اتخاذ مكانه فى العربة .. ولحظة أن ناداه بوجان كان الرجل النحيف يتنهد بعمق معبرا عما يجول بنفسه .

ــ اننى أتساءل .

وقاطعه بوجان بشدة :

ــ عم تتساءل ؟ هل تساورك المخاوف من الآن ؟

ــ لا .. بكل تأكيد يا دكتور .. كل ما هناك أننى أعتقد أنه من الحكمة أن أظل أنا هنا ..

ــ يا لها من فكرة غريبة ! .. هل تخشى ما قد يحدث لنا على أيدى الزيكو ؟

ــ اننىأعرفهم واتحدث لغتهم،وبالتالىفأننىاخشاهم اقل مما هى الحال بالنسبة لك يا دكتور .. كل ما هناك أننى كنت أفكر فى جراى .. ولنفترض أنه ظهر أسرع مما كنا نتصور .. ربما نتيجة المصادفة او لأى سبب آخر لا نعلمه .. ويصل الى الجانب الآخر فيرى القنطرة محطمة .. وينحنى فوق الترعة .. بينما أكون مختبئا .. وأمسك به .. وبالتالى ينعدم كل الخطر من وجوده ..

ــ وكيف تمسك به يا ديدى ؟

ــ بواسطة مقذوف ..

واشار الى حزامه حيث كان يتدلى المسدس .. ولكن بوجان ثار وقال له :

ـ أيها الغبى .. لا داعى لهذه الافكار .. فلو انك فعلت ذلك فستكون عرضة لأن يلاحظك احد أتباعه ، وعندئذ تعلم الشرطة بالامر فتسرع فى اللحاق بنا .. هيا اسرع .. فأمامنا الكثير للوصول الى الثروة التى تنتظرنا .

وكان ديدى ما زال يتحدث فقال :

ـ هذا الانسان الغريب جراى .. ليتك تعرف كيف يعامله الاهالى فى هذه المنطقة .. ولن يصعب عليه العثور على بعضهم لمساعدته .. واظنهم قادرين على الالقاء بالاغصان والاعشاب عبر الترعة للوصول الى ضفتها الاخرى .. ثم ..

وقاطعه الدكتور بقوله : ثم .. يكون الوقت قد ازف للعمل .. امسك بهذا يا ديدى ان كنت ترغب فى العمل معى .. وعليك الا تفكر فى القتل طالما كان هذا غير ضرورى ..

وتنهد ديدى وقال للدكتور :

ـ حسنا .. كما يحلو لك .. فهكذا تحدثنى نفسى ولسوف تندم على عدم تنفيذ هذه الفكرة التى طرات لى ..

وكان بوجان قد اتخذ مكانه فى العربة ، وما كاد يستقر على مقعده حتى انطلق بها وهو يتمتم :

ـ فلنسرع قبل ان يصل الدكتور جراى او يتمكن من عبور الترعة بالاستعانة بحبل من الاعشاب والاغصان ، وما اظن الامر سيكون سهلا بأى حال فى حالة محاولته ذلك .. وبعد ذلك يتعين عليه أن

يقطع ١٢٠٠٠ قدما سيرا على الاقدام .. وهذا يتطلب أربع ساعات طويلة وسط تلك الاحراش .. وعندئذ نكون قد أدركنا بعثة موكولو وتصبح الثروة ملكا لنا .

وتنهد ديدى وقال له بنبرة هادئة وقد تدلت السيجارة من بين حافة شفتيه والتى كان ينسى اشعالها فى غالبية الاوقات :

ـ فليستجيب الله لك .

وكان الطريق يمتد أمامهما ضيقا يكاد يسمح بمرور العربة .. وكثيرا ما كانت الاغصان والاعشاب المتشابكة تلامس العربة .. وفى بعض الاحيان كان حيوان ما يقفز عبر الطريق .. بل أنه حدث أن قفز امامهما حيوان ذهبى اللون به بقع سوداء : وكان فهذا .. وهكذا كانت الطبيعة قاسية فى تلك المناطق التى يعيش بها الزيكو .. والذين كانت فكرتهم لا تغيب عن ذهن الدكتور بوجان ..

كان قد القى بنفسه فى تلك المغامرة التى وجد فيها حلا لجميع مشاكله ، ورغم هذا فلم يكن متجاهلا لما يحف بها منمخاطر .. وما كان التغلب على الدكتور جراى بالأمر العسير ، وان كان الاخير قد قضى العديد من السنوات فى تلك المناطق وسط القبائل ، واهبا بذلك حياته لتلك البقعة النائية من الارض الافريقية .

وامسك بوجان بضحكة كادت تفلت منه .. وقال شارحا لديدى الذى كان يستفسر منه عن أمر ما :

ـ اننى أتخيل الدكتور جراى العزيز عندما يرى ما أصاب قنطرته .. فلقد كلفته الكثير من الجهود للحصول من الحكومة على المواد اللازمة للبناء . ثم احضار العمال الى المكان .. ثم .. كانت بعض أصابع من الديناميت ، واذا بكل شىء ينهار .. ولربما

دفعه هــذا الى اغلاق البعثــة .. وتــرك الزيكو وشأنهم .

ونزع ديدى عقب السيجارة من بين شفتيه وتأمله لفترة قبل أن يتحدث :

ــ وانت يا دكتور .. هل انت على ثقــة من اكتشافه ؟

ــ ماذا ؟

ــ سر الدكتور جراى ؟ وعلى كل فقــد أصابه بمحض المصادفة .. ولا شيء يمكن أن ..

وقاطعه بوجان بشدة :

ــ كفى .. لا يســاورنى أدنى شك .. لأننى اعرف كيف اتصرف .. هل تتصور بأن كل ما فعلته للقيام بهذه المغامرة كان انفاق مالى لمجــرد قيــامى بســؤال الزيــكو ومخــاطبتهم بقــولى : « والآن يا أصدقائى ... هيــا ... أخبرونى بما كشفتموه للدكتور جراى .. » لا .. فلدى غير ذلك فى جعبتى .. وان كان هناك أمر ضرورى ..

وكان بوجان قد قلل من سرعة العربة اذا كانت الاشجار قد اصبحت اقل كثافة ..

واستطرد قائلا :

ــ علينا أن نضمن عدم شك الســيدة جراى .. وعليها ان تعرف بأننا نتجول فى المنطقة ولا شيء غير هذا .. ولا داعى لأية حماقات .. افهمت يا ديدى ؟

ــ فلتعتمد على يا دكتور ..

وصاح به رئيسه غاضبا : لا .. فلتكف مرة واحدة عن مناداتى بلقبى .. ان اســمى هو بوجان .. واشتغل بالتجارة وانت تعمــل على ارشادى ..

وعليك اذن بمناداتى بالسـيد بوجان .. ولا داعى للكشف عن معارفى الطبية .

واضاف وقد علت وجهه ابتسامة مشرقة :

ــ رغم أن هذه الامور الطبية هى التى أوصلتنى الى هذا الكشف فلو لم أذهب الى نيروبى لحضور المؤتمر الطبى هناك لما سمعت عن الدكتور جراى ــ ولما كنا الآن نسعى وراء الثروة .. وان كان يتعين علينا الاسراع فى انجاز المهمة قبل أن يلحق بنا الدكتور جراى ــ والا لما كانت بنا من حاجة الى تحطيم القنطرة ؟

ــ ولكن ربما كانت السيدة جراى على دراية بالأمر ؟ ولو أنها ظنت أن ..

ــ هيا بنا الى موكولو ... وكيف يتسنى لها أن تكون قد سمعت باسمى .. وحتى زوجها فلم يكن كثير التردد على كانابا .. وها قد مضى عام على حضوره اليها ..

واتسع الطريق .. واذا بقرية تلوح عن قرب .. واسترعى نظرهما البيوت الفقيرة التى كانت بمدخل القرية ، وان لاحظا أن بعضا منها قد بنى وشيد بطريقة افضل .. ثم ولم تلبث العربة أن توقفت فى المكان الرئيسى أمام منزل منخفض شيد من الاخشاب وقد غطى أعلاه بأغصان النخيل وقد أحاطت به فراندة كبيرة .. ونتيجة لصوت المحرك ظهرت على حافة الباب امرأة شابة .. كانت بسيطة فى ملبسها وما كانت بحاجة الى التزين باللآلىء أو الذهاب للكوافير .. اذ كان جمالها طبيعيا تنم تقاطيع وجهها عن الشجاعة والارادة .. وما كان لآن جراى أن تكون مجردة من الصفات لكونها رفيقة حياة الدكتور

جراى .. ذلك الرجل المثالى ..
ونزلت الدرجات القليلة الموجودة أمام الباب واتجهت ناحية العربة .. وأسرع بوجان يفتح باب العربة وقفز منها مسرعا وقد علت وجهه كل أسباب الاحترام وقال لها متسائلا : السيدة جراى ؟
وابتسمت واستطرد يقول : اننى أقوم بجولة للبحث عن المعادن فى المنطقة ، وقد قيل لى بأن زوجك الدكتور جراى يمكنه مساعدتى على ما أعتقد .. أهو الآن فى موكولو ؟
وهزت راسها قائلة : انه قد غادر مقر البعثة منذ يومين .

الفصل الثانى

اخذت آن تتفحص تباعا وجهى زائريها ولم تكن قد شاهدتهما قبلا : خاصة ذلك الذى قدم نفسه باسم بوجان ، واما الآخر فقد يحتمل أن تكون قد قابلته أثناء تجوالها وان كانت غير واثقة من ذلك تماما .
ورغم هذا فقد علتها الدهشة :
ـ انكما قادمان من كانابا مباشرة ؟
ـ ورد عليها بوجان بالايجاب وأضاف :
ـ لقد كنا نبحث فى تلك المناطق من القرى .. عن مناطق البحث عن المعادن ، ويلزمنا قبل انشاء محل تجارى تحليل موارد المنطقة من كافة النواحى .
ـ الم تقابلا زوجى الدكتور جون جراى .. لقد خرج بسيارته الصغيرة وبرفقته خادمنا فريدى ، وهو شاب ماهر يعمل فى خدمته منذ أكثر من عشرة أعوام .

ـــ اننا لم نصادف أحدا .. ولقد بدت لى المنطقة موحشة حتى اننى تساءلت عما اذا كنت قد أخطأت بالحضور الى هنا ..

ـــ أتراك اتبعت النهر ؟ فعادة يسلك زوجى هذا الطريق أثناء العودة .

ـــ لقد سرنا بمحاذاة النهر لمسافة كبيرة وذلك حتى ارتفاع الارض تجاه جبال أواسو . ولم يكن هناك شىء سوى قطعان الحيوانات المفترسة .

وترددت آن فقد كانت المناقشة بغير ذات جـــدوى .. واحست فى الوقت ذاته بالهواجس تتسلل الى أعماقها .. وذلك منذ وصول الزائرين الى منزلها .. وتمكنت من التغلب على ما يعتمـــــل فى نفســـها واستطاعت أن تبتسم .

ـــ على كل لا أعتقد أن زوجى سيتأخر .. فقـــد كان يتعين عليه العودة اليوم .

وقال الرجل البدين مؤكدا كلامها :

ـــ اننا ندرك هذا ..

وعادت تبتسم وهى تقول بثقة :

ـــ يا لى من حمقاء ؟ أليس كذلك ؟ فلا يوجد ما يخشى عليه هنا فى موكولو ؟ وان كانت هذه هى المرة الاولى التى يتأخر فيها .. فعادة كان يخـــرج فى الصباح ليعود فى المساء .

وقاطعها بوجان بطريقة لطيفة بقوله :

ـــ هل مضت مدة طويلة على زواجكما ؟

ـــ منذ عـــام تقريبا .. فقد كنت فى زيـــارة بعض الاصـــدقاء فى كانابا وهناك تعرفت به .. وهكذا تم كل شىء ... وبقيت هنا .. هكذا ..

وقال ديدى مرددا .. هكذا ...

واما بوجان فقد اضاف : لا داعى للانزعاج .. فلن يلبث أن يحضر الدكتور جراى ..

وأثناء اتجاههم الى البيت الرئيسى للبعثة أمسك بوجان بذراع آن وقال لها :

ــ فلتعتمدى علينا وتسرفى فى ذلك .. طالما كان الدكتور غير موجود .. ولسوف نقوم بكل شىء لمساعدتك .

وكانت من السذاجة بحيث انطلى عليها الكلام المعسول الذى يردده بوجان .. فقالت له بنبرة صادقة :

ــ شكرا يا سيد بوجان .. اننى سعيدة بوجودكم .. ولسوف أذهب للتنبيه باعداد المكان لاقامتكما .

وتظاهر بالارتباك معتذرا لها عما قد يكونا قد سبباه لها من مضايقة او ازعاج وردت عليه آن معترضة :

ــ ان زوجى يغضب لو أنى لم أعمل على استقبالكما .. هذا ما يتحتم علينا فى وسط هذه الاحراش .. ولهذا فلتعتبرا هذا البيت بيتكما ، ولا تترددا فى طلبى عند أى مصاعب ..

ثم نادت على لوك .

وأبصرا بزنجى يخرج من المعمل الملاحق للبيت .. تنم ملامحه عن الذكاء .. وبلغة سليمة أجاب على نداء السيدة الشابة بسؤاله : هل من خدمة أؤديها لسيدتى ؟

ــ نعم .. يا لوك .. ان السيدين فى [illegible] للبحث عن المعادن .. السيدان بوجان وديدى .. وسوف يقيمان بمكان البعثة طوال فترة اقامتهما ..

ولهذا فليصدر الامر باعداد غرفة المسافرين لهما .
ــ حسنا يا سيدتى ..
وبعد لحظات كان الاثنان قد أقاما بغرفة وأن كانت غير فاخرة الا انها كانت حسنة التأثيث .. وجلس بوجان على حافة سريره ونادى على رفيقه باشارة من يده وقال له بصوت خافت :
ــ ان الامور تسير سيرا حسنا ..
ــ نعم .. ولكن حذار .. فانه يحتمل أن تفاجأ بحضور جراى .. بدون انتظار .
ــ ولهذا ينبغى أن نسرع ، أليس كذلك يا ديدى . وعليك أن تحاول الاتصال بالزيكو ولترى ما هى مطالبهم .. ولتأخذ معك احدى بنادقنا .. هيا .. اذهب .
ــ واذا ما بحثت عنى السيدة ؟
ــ سأعرف كيف أشغلها .. ولعلك لاحظت بأنها سريعة التأثر بالكلمات الحلوة .
ولم ينتظر ديدى بل أسرع خارجا عبر أحد الابواب المؤديه الى الغابة .. متجها صوب أكواخ الاهالى .. ولو أنه خرج من الباب الرئيسى للبيت لما كان خروجه مثيرا لأية ظنون .. وأما وقد غادر البيت بهذه الطريقة الملتوية فعليه ان يلزم الحذر ..
وفى تلك الاثناء لحق بوجان بآن فى الشرفة .. وألقى بما عنده :
ــ أظنك تشعرين بالوحدة وسط تلك الغابة البعيدة عن كل مظاهر الحضارة .. واننى اتصور لو أنك مرضت مثلا ..
ــ ان هذا لا يحدث .. ولو أنه كان فلا تنسى أن زوجى طبيب .

وضحكت معبرة عن سعادتها بذلك الزوج الذى تحبه والذى يمثل فى نظرها المثل الاعلى لديها .. وتراجع بوجان عن طريقته فى الحديث ..

ــ بالتأكيد ؟ كيف نسيت ذلك ؟ ان شهرة زوجك تطبق الافاق .. والجميع فى المنطقة يلقبونه بالدكتور المعجزة ..

وابتسمت واضافت تقول :

ــ نعم .. انهم الزنوج من الاهالى هم الذين يطلقون عليه الوصف .. انهم يكادون يعبدونه .. وذلك بسبب بعض العلاج الذى قام به وكان ناجحا .. فقد عالج رئيس القرية الذى كان على وشك الوفاة ، ولحسن الحظ انه شفى ، ومنذ ذلك الوقت والجميع هنا يشيدون به .. حتى الزيكو أنفسهم .

وردد بوجان الإسم الذى نطقت به .. وبالتالى شرحت له آن ما ترمى اليه :

ــ ان الزيكو يعتبرون القبيلة الوحيدة هنا التى تبعث على القلق .. وقراهم عجيبة ، وهى فى الحقيقة ليست قرى بمعنى اللفظ ؟ اذ انها بضعة أكواخ تكاد تكون ثلاثة او أربعة أكواخ .. وفيما بين هذه الجماعات الصغيرة توجد طريقة غريبة لتفاهم .. اذ انهم يقومون بتجويف جذوع الاشجار ومن ثم الحفر عليها برسوم غامضة . ثم ان لديهم عاداتهم واسرارهم .. ولا يطلع الشباب على اسرارهم قبل بلوغ العشرين من العمر وبعد العديد من الاختبارات .

وسألها بوجان : مثل ؟

ــ حسنا .. وهذا ما عرفته من جون . فيجب على الشاب ان يقاتل فهدا بمفرده للدلالة على

رجولته .. وعليه أن يعرف أثر الحيوان ، وأن يرشد عن عش الطائر بالنظر الى طريقة طيرانه .. وعليه تناول أنواع معينة من اللحوم وتناول الشراب الذى يعده ساحر القبيلة . ويقال أيضا بأنه يتعين عليه تناول اللحم البشرى ولو مرة واحدة .. وان كان زوجى لم يتأكد من ذلك أو يعثر على دليل يؤكد تناولهم للحم البشرى .. أما من حفلاتهم فالأفضل عدم السؤال عنها ..

وابتلع بوجان لعابه وهو يتذكر بأن عليه التعامل والاتصال بهؤلاء القوم الذين يعرفون وحدهم السر الذى يسعى وراءه .. ورغم هذا فقد واصل الحديث محاولا الخروج بالقدر الاكبر من المعلومات ، ساعيا لمعرفة أى أمر يتعلق بأبحاث زوجها ..

وعندئذ كان ديدى قد عاد من الغابة ، وأشار الى رئيسه ، ولكن الأخير تعمد أن يناديه بصوت مرتفع وهو يسأله : هل قمت بعمل بعض الاتصالات المثمرة ؟

ــ نعم .. على ما أعتقد .

وما أن ابتعدا قليلا حتى قال له باهتمام :

ــ لقد تعرفت بأحد الاهالى من الزيكو .. وقد عرضت عليه البندقية .. وهو يريد منها لأقرانه .

ــ حسنا .. واين الرجل ؟

ــ هناك .. على بعد خمسمائة متر فى الغابة .. وهو ينتظرنى .. ولم أشأ أن أعده الا بعد موافقتك .

ــ هيا .. تقدمنى ومعك بندقيتان .. وتعرف بطريقة لا تثير الشكوك .. وسوف أتخلص من السيدة والحق بك ..

وعاد بوجان الى الشرفة متهلل الوجه .. عندئذ سألته آن :

، انك تبدو سعيدا .. أترى عثر دليلك على أمر هام ؟ لا شك أن وصلك هنا قد عرف الآن فى كل مكان ؟

ــ نعم .. ويبدو أن هناك أحد الاهالى يرغب فى بيع بعض العاج .. ولهذا فاننى مضطر للذهاب للنظر فى الامر ..

وبعد لحظات كان وسط الاشجار .. حيث كان ويد يتناقش مع واحد من الاهالى كان عارى الصدر . تتدلى من حول خصره بعض الاعشاب .. المربوطة الى حزام .. ويبدو أن المناقشة كانت جادة يهدف منها الزنجى للحصول على السلاح الذى بحوزةالصياد

وتدخل بوجان ليسأل ويد : اين نحن الآن ؟

ــ انه متردد .. ويخشى الارتباط .

ــ عليك أن تحاول .

واخذ يدى يحاول اقناع الرجل .. واخيرا قال :

ــ انه يرفض الكلام طالما لم يأخذ السلاح ..

وتبادلا النظرات .. وقد كان ديدى وهو الذى تعامل مع مثل هذا الرجل عزوفا عن تحقيق طلبه والانصياع له .. فى حين كان بوجان يفقد ما يتحلى به من صبر وهذا ما جعله يقول :

ــ عليك أن تفعل ما أقوله لك .. وعليك الا تضيع دقيقة .. فالمسألة تتعلق ببضعة ساعات ولربما دقائق .

ــ حسنا ..

ومد يديه بالسلاح الى الزنجى الذى امسك به

وأخذ يتفحصه .. ونادى ديدى على الرجل واجابه الاخير بذلاقة .. وسأل بوجان زميله : ماذا قـال ؟

ــ حسنا .. سوف يقابلنا زعيم الزيـكو الليلة القادمة .. عقب غروب الشمس ..

وقاطعه بوجان بحدة :لا .. لا داعى للحماقات .. لن نذهب الى هناك الا عندما يحل الظلام .. وليكن ذلك بعد تناول طعام العشاء حتى لا يلاحظنا أحد .. ثم أضاف :

ــ فليذهب هـذا الرجل سريعا .. ولا داعى لأن يتسكع فى هذه الجوانب .. ويكفى أن تراه السيدة جراى أو خادمها أو غيرهما لتحوم الشكوك حولنا .

ولمرات عديدة كان الزنجى يومىء برأسه المغطـاة بريش الطيور .. وامسك به بوجان وهو يقول له : لا تتحدث مع احد .. سوى الزعيم .. ولا داعى للصيد الآن .. وسأله ديدى بدهشة .. ولمـاذا ؟

ــ ان سماع الاعيرة النـارية سيجعل السيدة جراى تفكر فى الامر ..

وازاح الزيكو الاغصـان المتشـابكة وتسـلل من خلالها حاملا معه الاسلحة وذاب وسـط الغـابة الكثيفة .. وتنفس بوجان بعمق .. ثم قال لزميله :

ــ اننى اشم رائحة عطرة يا ديدى .. انها رائحة الملايين التى تنتظرنا ..

ولو ان الرجلين عرفا بأن شاهدا قد حضر لقاءهما مع الزنجى لمـا نعما بالراحة .. اذ أن لوك ممرض البعثة كان قد تعقب ديدى .. وهكذا اتيح له متـابعة الحديث ورؤية تسليم السلاح للرجل .. وأخذ لوك يتساءل عن ماهية الرجلين ، وما الذى يهدفان اليه وان كانا حقا يهدفان الى التجارة .. فهل تكون تلك

التجارة هى الاسلحة ؟ .. وأخذت الافكار تتضارب فى ذهن الرجل .. خاصة وأن هؤلاء الاهالى متوحشون قتلة ، وبالتالى فقد تمثل الاسلحة خطرا داهما فى أيديهم ؟ وأدرك بأن عودة الدكتور جراى السريعة هى التى ستوقف المضى فى هذا الامر .. الذى قد يؤدى الى مذابح .. وتخيل الشاب بأن امداد هؤلاء الاهالى بالاسلحة النارية هو بمثابة اطالة أظافر الفهد ..

وعاد بعجل الى مقر البعثة آملا رؤية الدكتور جراى .. وفى تلك اللحظة كان جراى واقفا أمام بقايا القنطرة وتوقف الدكتور بسيارته .. وقفز منها الى الارض وتبعه ديدى .. الذى سأله وقد علت وجهه الدهشة : — لماذا حدث هذا يا دكتور ؟ ومن الذى حطم القنطرة .. لا أعتقد ان المياه هى التى فعلت ذلك ؟

وقال له جراى : — لا .. انها ليست المياه أو الامواج .. انه ليس حادثا عرضيا .

وأمسك الدكتور بأحد الاسلاك الملتوية وأخذ يتفحصه وقال متمتما :

— من ذا الذى استطاع تحطيم الاسلاك بهذه الطريقة؟ أنظر الى الواح القاعدة .. وطريقة تكسرها .. لايمكن الا أن ..

وتردد فى الافصاح عما يجول برأسه .. ولكن ديدى حثه على ذلك :

— ماذا يا دكتور ؟

— انه انفجار .. ولكن كيف ؟ اننى لا اتصور طائرة قامت بذلك .. والزيكو ليس لديهم متفجرات .. اذا كيف تم تدمير القنطرة ولماذا ؟

وقال مخاطبا نفسه بصوت خافت : ومن ذا الذى

قام بذلك ..

وعلى أى فقد قطع الطريق أمامها للوصول الى الجانب الآخر .. وها هى أمواج الترعة تحول بينها وارتجف الزنجى الصغير واصطبغ وجهه نتيجة القلق :

ـــ اذن فليس ثمة وسيلة للعودة ؟

ـــ لا .. يا بنى .

ـــ والسيدة ؟

ـــ فليرعها الله .. وانني لعلى ثقة من ذلك ..

ولم يستسلم جراى للمخاوف اتى انتباته خاصة وانه لا توجد وسيلة للعودة الى بيته الواقع وسط الغابة .. ذلك البيت المنعــزل وسط مناطق الزيكو . وعـــاد جراى بخطى متثاقلة صوب سيارته .. وأخرج منهـــا سريره وقال لتابعه :

ـــ سنقيم هنا الى الصباح يا ديدى .. فربما وجدت حلا .. و قد يحضر لنجدتنا من قام بهذا العمل ..

وما كان يتحــدث بهذا الا لكى يبث الطمأنينـــة فى نفسه : فلم يكن فى الواقع يتوقع أية نجدة ، الا اذا جاءت هـــذه النجدة عن طريق الله والذى كان يلجأ اليه فى الاوقات الحرجة وكله ايمان وثقة بأنه سيساعده ..

ـــ هيا يا ديدى .. هيا .. تشجع ..

الفصـــل الثالث

احس لوك بالقلق اثر عودته الى مقر البعثة لمـــ توليه سيدته من ثقة للزائرين .. وكان بوجان جالسـ فوق مقعد ويبدو سعيدا وهو يرى السيدة تقـــدم لـ الشاى وتعد للعشاء .. وأما ديدى فقد كان صامتا . وتساءل لوك عما يتعين عليه أن يقـــوم به ؟ فلو أنـ

افصح للسيدة جراى عما يجول بذهنه فقد لا تتمكن من التحكم فى مشاعرها ، وقد تتمثل نفسها على وشك الضياع ، خاصة وأنها وحيدة لا تملك طريقة جـادة لمواجهة الرجلين . وهكذا أدرك المسـكين لوك مدى ما تعانيه سيدته ومدى ما تتصف به من ضعف .. واذن فلمن يلجأ ؟ لو انه غادر مقر البعثة وذهب للبحث عن الدكتور جراى فمن يضمن له أن يصل الى سيده فى الوقت المناسب ، وهو فى هذه الحالة انما يهيىء الفرصة لبوجان وشريكه للعمل بحرية .. وعن آن فقد كانت نهبة للهواجس اذ كانت تتساءل عن سر تأخر زوجها فى العودة الى البيت ؟ .. وعن هذا الامر قالت لضيوفها:

— اننى قلقة برغم انى لا أجزع من أية أمور فقد جعلتنى الحياة فى هذا المكان اتعود على كافة الامور غير العادية وكانت الظروف العديدة الصعبة التى واجهتنى كفيلة بتعودى على كل أمر قهرى : فقد تفاجأ هنا بثعبان فى البيت أو بخفاش يدور حول رسك أو بعقـرب فى حذائك .. و غير ذلك .. ولكنى وبغض النظر عن كل هذه الامور أشعر بالقلق لغياب زوجى .

ونظر الرجلان كل للاخر بارتياح .. بينما اضافت السيدة :

— من يدرى ربما كان الزيكو سبب تأخره ؟

وردد بوجان الاسم متظاهرا بالدهشة .. بينمـا استطردت آن قائلة :

— نعم .. فهم عادة يعيشون فى أحضان الغابة الكثيفة بعيدين عن كل حضارة .. ولكنهم ولدهشتى يحومون منذ أيام حول مقر البعثة..وقد لاحظهم لوك عدة مرات.. وكأنهم ينتظرون أمرا ما .. وهذا ما لا نجد له تفسيرا.

وقاطعها بوجان بقوله : — ورغم هذا فقد استطاع

زوجك توطيد الصلات مع بعضهم ؟
ورددت عليه مؤكدة .

ــ هذا صحيح .. فزوجى يؤدى الخدمات للجميع .. وتعتبر علاقاته مع الزيكو دليلا على تقدمه في هذا المجال .. ورغم هذا ..

وهزت كتفيها بتكاسل ومرارة .. واضافت :

ــ ورغم هذا فانه لا يمكن الركون الى مثل هؤلاء القوم الذين لا يقيمون وزنا لاى غريب من خارج القبيلة، ويتجلى ذلك واضحا فى تصرفاتهم المفاجئة ، ولقد حدثنى جون عن حوادث وقعت فى أوقات لم تكن منتظرة .

وطوال الحديث كان بوجان يبتسم لحدثته وكأنه يتعجب مما تقول ، وقد استند الى مقعده الوثير وهو يحتسى الشاى الذى قدمته اليه آن .. واستطردت الاخيرة قائلة :

ــ بالاضافة الى ذلك فهم من آكلى لحوم البشر .

وهنا اعترض ديدى على قولها : ــ ولكنه امر مألوف فى أواسط افريقيا ، وان كانت اغلب الحوادث فى هذا الشأن نتيجة غضب جارف او بناء على تعليمات ساحر القبيلة .

ــ ولكن الامر يختلف بالنسبة لهؤلاء الاهالى .. فهم يعتبرون ما عداهم مجرد مواش .. ويظلون فى منأى عنهم الا أن يشعروا بالجوع فيسعون وراءهم تماما كالاسد .. تراه يهاجم الحيوانات ولكن يضطر ازاء الجوع القارس الى مهاجمة الانسان .

وعاد بوجان يتظاهر بالهلع فقال :

ــ ماذا ؟ اتعتقدين انهم هاجموا الدكتور جراى ؟ لا .. لا .. دعى هذه الافكار جانبا فلا شك انهم يكنون له كل مودة وتقدير ، ولا شك أنهم يخافونه الى حد ما

والا لما أطلقوا عليه لقب الدكتور المعجزة .

ويبدو أن آن لم تقتنع بهذا الكلام اذ أنها أخذت تهز رأسها .. بأسى ..

ــ قد تكون على صواب .. ولكن قد تصيب اللوثة الزيكو فتجعلهم يفقدون الصواب .. وعندئذ لا يمكن لاى كان أن يوقفهم أو يحد من ثورتهم .. وقد تمتد هذه الحال بهم لابعاد لا يمكن تصور أبعادها ..

وتنهدت بعمق وأضافت :

ــ لا داعى لان نمضى فى هذه الاحاديث .. وارجو معذرتى لازعاجكما بمثل هذه الامور ..

وبعد تناول العشاء استمروا يتحدثون طويلا . وفى ساعة متأخرة تقارب الحادية عشرة تسلل بوجان وزميله خارج مقر البعثة .. وكان كل شىء ساكنا .. وقد أوى الجميع الى فراشهم ما عدا لوك .. فقد ازدادت ظنون الرجل بالزائرين ولذا قرر مراقبتهما .. وظل لوك يتبعهما فى قلب الغابة يساعده فى ذلك المصباح الذى كان يمسكه ديدى وهكذا وصل الجميع الى مكان مظلم وعندئذ توارى لوك ..

وهنا صاح بوجان معاتبا زميله :

ــ ما هذا ؟ لماذا أطفأت المصباح .. اننى لا أرى أى أثر .. ولا أسمع أى شىء .. هل أنت على ثقة من أنه ... ؟

ــ نعم .. انه المكان المتفق عليه .. واننى على ثقة من ذلك .. ولتطمئن .. ذلك الزيكو يحافظون على وعودهم دائما .. خاصة وانهم يريدون أن ..

وتوقف عن الكلام .. اذ ظهرت أمامهم فى تلك اللحظة بعض الاشباح الهائلة .. كما لو كانت شياطين هبطت على حين غرة من السماء .. وتفحص ديدى وجوه

القادمين بومضة من مصباحه ، ووجد أن اثنين منهما يحملان البنادق التى أعطاها لهم . بينما كان البعض يمسكون بأيديهم الحراب الحادة .. وصاح بوجان معلقا على هذا المشهد :

ــ ياله من حرس شرف عظيم .. اننى أكاد أتخيل نفسى امبراطور الزيــكو .. شريطة أن يكونوا قــد تناولوا طعام العشاء ..

ورغم هذه الدعابة التى كان يتحلى بها فقد كان فى قرارة نفسه خائفا : فمن يدرى ماذا يخبىء له هؤلاء الشياطين من مفاجآت ..

وسألهم : ــ أين الزعيم ؟

وبعد أن تبادل ديدى بعض العبارات مع القادمين قال مترجما لرئيسه :

ــ انه ينتظرنا .. ولسوف يرافقوننا حتى مكانه ..

ــ اذن هيا بنا ولا داعى لاضاعة المزيد من الوقت .

وسار الركب وسط طريق متعرج .. كان مصباح ويدى يضيئه من آن لآخر .. ولم يكن هذا الضوء كافيا لارشادهما الى الطريق .. ومن آن لاخر كان أحدهما يصطدم بشجرة و يتعثر فى جذور الاشجار التى تغطى الارض .. وضاق بوجان ذرعا بهذه الحال حتى أنه قال لزميله :

ــ ليست هناك نهاية لهذه الرحلة الشاقة ..

وعلى حين غرة وصلوا الى مكان فسيح تحيط به الاكواخ من كل الجوانب .. وفى وسطه كانت هناك نار مشتعلة .. وامام أحد الاكواخ كان يجلس رجل ضخم تنم ملامحه عن الوحشية ، وقد وضــع فوق ركبتيه بندقية حديثة .. بينما كان يتدلى من جانبه خنجر حاد النصل بالاضافة الى العديد من الحلى التى كانت تغطى

بشرته السوداء الملطخة باللون الابيض . وما أن تحدث الرجل حتى بدت أسنانه حادة الامر الذى جعل بوجان ترتجف ويقول :

ــ انه لا يبدو مشجعا . .

ولم يلبث ديدى ن قدم له الرجل : انه الزعيم رانجا . . وعليك مراعاة عدم الاعتراض على ما قد يطلبه منك .

ــ حسنا . . يا ديدى . . ولتحاول من جانبك ان تجعله فى صالحنا . . ولو أنه كان يدرك الفائدة التى تعود عليه من ذلك لمـــا قدم على مساعدتنا .

ودفع بالرجلين أمام الزعيم الذى بدأ يحدثهم بخشونة . . وكان ديدى ما زال يقوم بدور المترجم .

ــ انه يطلب امداده بالذخيرة للبنادق التى أعطيناه اياها . . ويبدو أن الذخيرة التى كانت معها قد نفذت . . .

وعلى التو اوضح له ديدى الامر :

قد قضوا على مواش جيرانهم .

وعلى التو اوضح له ويدى الامر :

ــ لا . . كل ما هناك أنهم كالاطفال الصغار . . فقد راح كل منهم يجرب البندقية حتى نفدت الذخيرة .

ــ حسنا . . أخبرهم بأننى أوافق على طلبهم . . وسوف أمدهم بما يريدون من ذخيرة . . وان أرادوا بنادق أخرى . .

وبقدر ما كان ديدى يحدثهم بقدر ما كانت وجـــوه القوم تشرق . . وعلى حين غرة القى الزعيم ببضـــعة كلمات بطريقة جافة وترجم ديى ذلك بقوله :

ــ انه يوافق . . ولكن يريد معرفة شروطك ؟

وفرك بوجان يديه وأدرك أن الامور تسير ســـيرا حسنا . . وخيل اليه بأنه يكاد يرى اللحظة التى يعرف

فيها السر الذى يسعى اليه .. وعندئذ يغادر كانانا ويسعى الى مكان حيث يكون الثراء الحقيقى .

ــ استمع الى ديدى وحاول الا تخطىء : اخبر هذا الشيطان الاسود بأننى ابغى أمرين : أولهما لا يقيمأحد أية قنطرة فوق النهر والا يقوم أحد بعبوره .. والا ما كانت هناك ذخيرة ..

وما ان فهم الزعيم رانجا مطلب بوجان حتى وافق عليه .. وهذا ما دفع بوجان لان يضيف : وحتى الدكتور جراى .

ولم يعارض الرجل الاسود هـــذا المطلب ، وأومأ برأسه ثم هب واقفا وقد اشار الى أحد رجاله الذى أخذ يضحك عاليا .. ولم يدرك بوجان مغزى هذا الحوار الغريب ولم يلبث ديدى أن أوضح له مجريات الامور :

ــ لقد اختار رانجا هذا الرجل ليتولى زعامة جماعة من الرجال تذهب على الفور الى حيث كانت القنطرة وذلك للحيلولة دون عبور أحـــد ولو اضطروا فى ذلك للقتال ، خاصة وان رانجا قد أخبرهم بأنه يحق لهم أكل من يقتلونه .. واظنك ترى انه هدف منشود لدى كل منهم .

واستدار رانجا ناحية ديدى الذى اتجه بدوره ناحية بوجان ..

ــ والآن انه يسألك عن الشرط الثـــانى .. وهو يخشى أن يكلفه كثيرا .

ــ لا .. فليطمئن .. كل ما هناك اننى أريد التحدث الى ساحر القبيلة .

وقفز رانجا من مكانه عندما عرف بنوايا بوجان .. ورفض ما طلب اليه بايماءة من راســـه ومؤكدا ذلك بعصبية بيديه .. وقد بدا ثائرا .. هائجا ..

وسأل بوجان زميله : ــ والان ؟
ــ هذا ما كنت أخشاه .. ان رانجا يخبرنى بأنك تماديت فى مطالبك .. فالساحر لدى الزيكو مقدس ، ولا يمكن لغير المقربين منهم فهم أن يقابلوه .. وانه يستحيل ذلك بالنسبة للبيض .. الا اذا قدمنا اليــه كجثث .. وذلك لاختيار أفضل الاجزاء منها .
وحاول ديدى التغلب على ما يعانيه من رهبته، ورغم هذا فقد راحت حبات العرق تتساقط على وجهه .. فى حين راح بوجان يهز كتفيه بلا اكتراث ..
ــ تماسك يا ديدى .. عليك أن تكون أشجع من ذلك .. وعن نفسى بأننى لا أخشى هذا الساحر .. وعن نفسى فانه يمكننى القيام بأكثر ما يفعل .. ان لم يكن أفضل منه ..
ودس بوجان يده فى جيبه .. وكان قد لاحــظ بأنه يوجد قرب رانجا كوب به ماء .. وكان الرجل يرتشف منه من آن لآخر .. وقال بوجان للزعيم عن طريق زميله :
ــ لتعلم بأننى ساحر كبير .. وهذا ما جعلنى أطلب مقابلة ساحركم .. وما الامر الا مجاملة بسيطة منى .
ويبدو أن رانجا لم يقتنع بذلك .. عندئذ قام بوجان بجذب يده من جيبه ثم قام ببسطها مفتوحة قرب كوب المـــاء ..
ــ والان أنظر يا رنجا .
وكاد الزعيم أن يسقط من مكانه دهشة .. فقدأبصر بشعلة تتولد ثم ترتفع عاليا وبطريقة جلية فوق الكوب و .. وعندئذ قال بوجان :
ــ ولعل رانجا يكون سعيدا بلقائى .. والا شـــعر بالآم مبرحة عند شرب هذا المـــاء .

وفى تلك الاثناء كان الجميع من الحاضرين يتزاحمون لرؤية ما يجرى من غرائب الامور تحت ابصارهم .. وقد استبد بهم الفزع مما شاهدوا بأعينهم .. واخذوا يتهامسون فيما بينهم وقد تغيرت نظرتهم فيما يتعلق ببوجان .. وظل الاخير باسطا ذراعه تجاه الكوب ثم قال لزميله :

ـ عليك يا ولدى ان تخبر هذا الرجل بأنه يمكننى اشعاله بسهولة ان اردت ذلك ..

ولسوف أجعله يتحول الى كتلة من النار اذا لم يستمع الى أوامرى .

وأبلغ ديدى هذا الكلام الى الزعيم بالاضافة الى قول بوجان :

ـ هذا وسيحصل رانجا على خمس بنادق والكثير من الذخيرة بعدمقابلتناللساحر .. وهذههىكلمتىالاخيرة.

وتتابعتالهمسات بينالحاضرين، فى حين اخذ ديدى يداعب السيجارة بين شفتيه وما لبث ان سأل زميله : ماذا فعلت بحق الشيطان ؟

ـ انه العلم .. يا ديدى ..

وضحك قليلا ثم أضاف هناك العديد من هذه الخدع يا عزيزى .. وان اردت ان تتعلم منها الكثير فما عليك الا الذهاب الى احد المحال المخصصة لبيع المواد اللازمة لمثل هذا النوع من الحيل ..

ـ حسنا .. ولكن اليك هذه المشورة : عليك بالاكتفاء بهذا القدر .. فهناك حدود لا يمكن تخطيها مع هؤلاء القوم .. وهم قادرون على التخلص منها بأسرع مما تتصور .

ـ كما تشاء .. ولنقنع بهذا القدر الليلة .

وخلال هذا الحوار بين الرجلين كان رانجا يتناقش

مع رجاله .. ولكنه عجز عن اقناعهم بمهارة بوجان .. وأخبر ديدى بوجان بأن رانجا يخبره بأن الرجال لم يخافوا مما قام به ، ويعتقدون بأن ساحرهم أمهر منه .. وتحرج الموقف خاصة وأن البعض كان قد بدأ يشهر سلاحه ، بينما البعض الاخر كان قد رفع رماحه .. وكانت اشارة من رانجا كافية بوضع نهاية لحياة الرجلين وهو الامر الذى جعل ديدى يرتجف بوضوح ، حتى أن بوجان صاح به :

— أيها الغبى .. لا داعى لان تظهر خوفك .. والا شجعتهم .. وعليك بدلا من الارتجاف أن تخبر رانجا بأننى ما زلت أؤكد له تفوقى على ساحر القبيلة ، وما أظنه تجاسر اذا أمر بلقائنا .

ويبدو أن وقع هذه الكلمات كانت تزيد من ثورة الزيكو .. خاصة عندما قال بوجان :

— على رانجا أن يفكر فى الامر مليا ، واذا ما أراد بأننى على استعداد للقاء الساحر غدا فىنفس هذا المكان .. والا فلن تكون هناك بنادق وذخيرة .

وما أن فرغ ديدى من الحديث حتى استدار بوجان ذلك الرجل البدين على عقبيه متجها وبخطوات ثابتة تجاه الطريق الذى قدم منه ، وذلك وسط دهشة الحاضرين . وعندئذ أسرع الرجال الذين رافقوه عند الحضور لارشاده الى مقر البعثة .. وراح كل من الرجلين يتخيل ما سيجرى ، وأما ديدى فلم يكن متفائلا فليس من المعقول أن يوافق الزيكو على مطالب بوجان .. فى حين كان الاخير يأمل غير ذلك .

— انهم سيوافقون .. وما أظن موافقتهم على اغلاق الطريق فى وجه جراى خطوة غير موفقة .. وكم كنت أود أن أكون هناك لارى بنفسى الرجل الطيب وهو يحاول

عبور النهر ..

وهناك قرب النهر .. ونور شروق الشمس .. هب جراى واقفا يتبعه فريدى .. ولم يكن احدهما قد نام جيدا خلال الليلة المضرمة .. وسأل التابع الدكتور عما اذا كان قد فكر اثناء الليل فى طريقة اصلاح القنطرة وهو الذى يصلح الاجساد المريضة .

ورد عليه جراى بحزن : نعم .. لقد كانت فى الامر .. وما أظن هناك طريقة أكيدة لاصلاحه . وراح يفكر فى أثناء حديثه .. فلو انه ألقى بجبل فى نهايته قطعة حجرية فقد يمكن ان يمسك بأحد الاغصان على الضفة المقابلة وبالتالى يتاح له بالتعلق به للوصول الى الشاطىء الاخر .. ولكنها محاولة غير اكيدة قد تكون نتيجتها السقوط وسط الامواج المتضاربة .. ولقد ظل جراى طوال الليل يفكر فى مرتكب هذه العملية التدميرية .. وخاصة فى الهدف الذى من اجله تم تحطيم القنطرة .. وبعد أن أتخذ قراره قال لرفيقه :

ــ هيا نتفحص الاماكن ..

وقام من مكانه .. واقترب من حافة النهر .. وراح يتأمل المسافات عندما صاح فريدى بدهشة :

ــ انظر .. هناك .. انهم الزيكو ..

وابتسم الدكتور وقد عاوده الامل ..

ــ حسنا .. يا فريدى .. انك على صواب .. سنتحدث اليهم ونطلب منهم المساعدة .

ولم يكد الدكتور جراى يكمل كلامه حتى انهالت الحراب عليهما عبر النهر .. الامر الذى جعله يدرك بأنهم لا يقصدون اللهو .. وهكذا حال الزيكو دون محاولة الدكتور جراى العبور وما كانوا بحال من الاحوال سيحزنون لو أن جراى أصيب اصابة قاتلة ..

الفصـــل الرابـــع

لم يكن أمامهما سوى الفرار والبحث عن ملجأ خلف الاشجار الباســقة التى تغطى حافة النهر .. وكان فريدى لاهثا ، بينما شــعر جراى باليــأس يدب فى أعماقه .. فقد كانت هذه الغارة المباغتة من جانب الزيكو مفاجأة له ، ونهاية لمحاولاته التى كانت تهدف الى تهذيب هؤلاء الاهالى ، وحملهم على الابتعاد عن هذه الاساليب الوحشية ..

واستطاعا الوصول الى العربة زاحفين ، ولاحقهما صرخات الزيكو من الجانب الاخر للنهر .. فقد كانوا سعداء بانتصارهم .. رغم أنهم كانوا يجهلون ما الذى يدفعهم الى محاربة هذا الرجل الذى عمل دائما من أجل صالحهم .. والذى عالج مرضاهم ..

وأمسك فريدى بالحقيبة الخاصة بهما وبينما هو يلقى بها فى السيارة اذا به يسأل الدكتور جراى : اننى لا أفهم تعليلا لمـــا يجرى ! ..

ـــ ما الذى تعنيه يا عزيزى فريدى ؟

ـــ ان الزيكو متوحشـــون .. انهم الان يحاولون قتلك وقد عالجت العديد من مرضاهم ..

ـــ اننى مثلك تماما لا أجد تبريرا لمـــا حدث ..

ـــ انه أمر مؤسف .. انهم يحبون القتل كما رأيت .

وما أن تم وضع الحاجيات فى العربة حتى قال جراى لفريدى وقد جلس إلى عجلة القيادة : هيا .. اصعد .

وسأله الزنجى الصغير : ـــ ولكن أين تزمع الذهاب؟

وردد الرجل قوله : أين ؟

وكان قد فكر فى ذلك مليا خلال الليل المنصرم .

ـــ سنذهب الى أقصى ما نستطيع طالبين النجدة ثم

العودة الى موكولو ..

وبدأت العربة تتحرك متجهة صـــوب الشمال .. ولفترة طويلة ظل فريدى واجما .. رغم أن العديد من الاسئلة كانت تضطرب برأسه .. وأخيرا قال :

ـــ وحتى اذا أحضرت الكثير من الاصدقاء .. فهل تراك نسيت مشكلة اجتياز النهر .

ـــ أتراك نسيت السماء ؟

وصاح الزنجى الشاب : ـــ أتقصد بالطائرة ؟

ولكنه عاد عابسا .. وقـــال شارحا ما يعتمـــل فى نفســـه :

ـــ ولكن كيف تستخدم الطائرة وهناك الغابة ..

ـــ وما رأيك يا بنى فى الهليكوبتر .. ؟

ولساعات طويلة ظلت العربة تقطع الطريق وقد لاذا راكباها بالصمت .. وركز جراى أنظاره على الطريق غير مكترث بالطيور التى تصطدم بالعـــربة ، دون أن يفكر فى التوقف لجمع بعضها ، كما هى عادته للاستفادة بها كطعام .. وأما اليوم فلم يكن أمامه سوى هدف واحد ؛ ألا وهو الوصول الى كانابا دون أدنى تأخير .. وكان عليه أن يقطع مئات ثلاثة من الاميال وسط طريق غير سوى بالاضافة الى ما قد يعترضهما من صعاب.. وبالتالى فما كان هناك مجال للراحة ، ولسوف يضطر لاسناد القيادة الى فريدى برهة من الوقت .. ورغم مشاق الرحلة فقد ظل الزنجى الشاب يتذكر ما جرى محاولا الوصول الى تفسير له .. وهذا ما جعله يسأل جراى :

ـــ ولو انهم نالوا منا فما كانوا قادرين على التهامنا .. واذن فلماذا حاولوا قتلنا ؟

ـــ لقد فكرت فى هذا الامر .. انهم كانوا يتصرفون بناء على توجيهات : كانوا يهدفون الى منعنا من عبور النهر .. أى العودة الى موكولو .. واظنك على صواب فأنهم ما كانوا سيفوزون بأية قطعة منا فى حالة اصابتنا او موتنا .. ولكن .. ما ترى وراء ذلك ؟

وما كان بمقدرة فريدى أن يجيب على مثل هذا التساؤل الذى يفوق تصوره .. وعاد يسأل :

ـــ اذن فهم الذين حطموا القنطرة ؟

ـــ انهم لا يملكون السبيل الى ذلك .. فلو أنهم كانوا قد نزعوا الالواح لاخذت برأيك على الفور .. ولكن ما حدث كان يفعل التفجير .. اتدرك ما ارمى اليه يا فريدى ؟ .. وهذا ما يدل على أن هناك بعض البيض وراء ما جرى .. واننى لا اكف عن التساءل عن هدفهم من وراء ذلك ؟ .

وتجهم وجه فريدى الباسم .. ـــ اذن .. هل أصيبت السيدة بمكروه ؟

ولم يتلق أجابته من الدكتور .. الذى زَادت تقاطيع وجهه حدة .. ولم يشأ فريدى معاودة السؤال .. ولكنه اكتفى بقوله :

ـــ أمامنا ثلاثة أيام للوصول الى كانابا ومثلها للعودة .

ـــ لا .. يا فريدى .. فسنكون هناك فجر الغد .. ولهذا فعلينا أن نواصل السير بغض النظر عن متاعب الطريق أو الظلام ..

وضاعف الدكتور من سرعة العربة .

وكانت الافتراضات عما قد يكون فى مقر البعثة يشغل بال الدكتور .. وهذا بالفعل ما جرى هناك اذ تتابعت الاحداث منذ اشراقه شمس هذا النهار ..

وكانت السيدة جراى قد قامت لتوها لتأدية مهام بيتها ... فقد اعتادت آن منذ وصولها الى هـــذه البقعة النائية من كانابا أن تمارس العديد من المهام .. خاصة تلك التى تتعلق بمساعدة زوجها .. فقد كانت تقف كل صباح الى جواره تعاونه فيما يقوم به من خدمات للمرضى .. ولم تكن الوحيدة التى تساعد زوجها فقــد كان هناك لوك .. الذى يملك الخبرات الكافية لان يقوم بعمل مساعد الطبيب .. وفى هذا الصباح وبينما كان هناك عديد من المرضى أمام باب مقر البعثة اذا به ينحنى ناحية السيدة ليقول لها بأنه يريد التحدث اليها .

ــ دع ذلك الى وقت آخر يا لوك .. ألا ترى كم هم بحاجة الى مساعدتنا ..

وكانت تعنى بذلك المرضى الواقفين أمامها والذين تحملوا مشقة كبيرة للوصول الى هذا المكان .. ليحقن بعضهم ضد مرض النوم وليعالج الابرص منهم .. وكانت آن تعمل وفقا لنظام دقيق .. اذ كان كل مريض يحمل قطعة معدنية مرقمة تتدلى حول عنقـــه يقابلها ملف لحالته المرضية .. ورغم هذا كانت آن شاردة بسبب غياب زوجها .. وظلت تؤدى واجبها بنشاط ، فتارة تقوم بالحقن ، واخرى تقوم بتوزيع الاقراص و احكام الاربطة ..

وفكرة غياب زوجها تراودها وفى احدى اللحظات كان لوك قد أصبح قريبا منها وقد بدا عليه القلق .. حتى أنها اضطربت لذلك :

ــ ماذا هناك يا لوك ؟ هل علمت أى شىء ؟

ــ لا .. يا سيدتى .. سأتحدث اليك عندما نكون منفردين .. ولتعلمى بأننى لا أحب الزائرين ..

وألقى فيما حوله بنظرة فاحصة تنم عن مدى ما يعانيه

من قلق .. وسألته آن :
ــ من تقصد ؟
وقال لها بصوت خافت :
ــ هذا السيد بوجان وزميله . .انهما يخفيان امرا ما .. ولسوف أحدثك بما فى نفسى ..
وفى تلك اللحظة ظهر بوجان بقامته القصيرة على حافة الباب ، وقد بدت عليه امارات الفرحة .. وما أن ابتعد المريض الاخير حتى امسكت آن بذراع الممرض قائلة له :
ــ اننى استمع اليك يا لوك ! .
ــ هيا بنا يا سيدتى ..
وتبعها الى حيث كان جراى يتحفظ على الادوية التى يخشى عليها .. وبعد أن أوصد الباب قال لها شارحا ما فى نفسه :
ــ ان بوجان رجل خطر يا سيدتى .. ويجب ابعاده عن هذا المكان .. ولا داعى لان يظل ليوم آخر ..
ــ زدنى ايضاحا ..
ــ لتعلمى أولا ما الذى قام به بالامس .. بعد الظهيرة ثم فى المساء .. ونظرا لاننى لم أكن مطمئنا اليهما فقد تعقبتهما .
ثم قص عليها ما شاهده ، وما جرى فى اللقاء الاول الذى رتبه له ديدى ، وكان من نتيجة مقابلة بوجان لاحد رجال الزيكو ثم مغادرة الرجلين لمقر البعثة ليلا وذهابها الى القرية الواقعة فى قلب الغابة .. وضاف قائلا :
ــ لقد تواريت بقدر استطاعتى محاولا التقاط حديثهم .. وأظنك تدركين انه لو كان قد ابصر بى أحد

الزيكو لفتكوا بى ، ولكننى وحدى فى مواجهة هؤلاء القوم .. ولقد أبلغتك بهذا لتخبرى به الدكتور جراى عقب عودته .

ـ لا .. لن أنتظر اكثر من ذلك .

ـ حذار يا سيدتى .. فالرجلان شريران .. وما اظنهما يجهلان مغزي اهداء الاسلحة لقبيلة مثل الزيكو متجاهلين ما قد يترتب على ذلك من آثار وخيمة .. واننى لاود معرفة هدفهم الحقيقى من وراء ذلك فما أظن الامر يتعلق بشراء العاج كما يدعون .

ـ شكرا يا لوك .. لقد أحسنت بابلاغى .. ولن أبقى عليهما بعد الان بدارى .

لا داعى لذلك .. ولننتظر عوة الدكتور .

ـ لا .. لن انتظر .

وقررت آن أن تتصرف بجراة حتى تكون بحق جديرة بذلك الرجل الذى تزوجت والذى ما كان يخشى أو يتراجع عن أية مواجهة .. ولقد حدث أن قدم رانجا فى أحد الايام الى موكولو ، وعندئذ استقبله جراى بحفاوة .. ثم عمل على فحص عينى الرجل المتوحش الذى أظهر احتراما كبيرا له .. وهكذا قررت آن أن تعمل يدفعها الىذلك ايمانا بأنها على صواب .. وكان بوجان وديدى يحتسيان الخمر فى الشرفة عندما دخلت اليها آن .. وقد بدت على ملامحها عزيمة لا تقهر .. بينما تبعها لوك وقد استبد به القلق .. وهو يشعر بالندم لانه صارحها بما عنده .. وما أن رآها بوجان حتى قال : أنظر .. ها هو ملاكنا الطيب .. قد حضر لقضاء بعض الوقت معنا نحن الخطاة .

وبطريقة جادة .. وقد بدت غاضبة قالت للرجلين :

ــ أظنني لن يهدأ لى بال قبل مغادرتكما هذا المكان على التو ..

وسألها بوجان بطريقة هادئة :

ــ معذرة ؟ اترانى قد اخطأت السمع ؟

ــ لا .. لن أسمح لكما بالبقاء فى بيتى دقيقة اخرى .. هيا ..

وقال ديدى معلقا : ــ هل هذا صحيح ؟

ــ نعم .. ممكن .. لقد عرفت كل شىء عنكما .. نعم كل شىء .. وما انتما بتاجرين وصائدين بل بائعى أسلحة .. ولمن تقومان ببيعها ؟ للزيكو ..

وتظاهر بوجان بالدهشة :

ــ أوه .. نحن ؟ .. اننا ما حضرنا الا من أجل التجارة مع هؤلاء الاهالى ..

ــ انك كاذب .. فلا يوجد فى عربتكما سوى الاسلحة والذخائر .

وعاد بوجان للتظاهر بغير ما فى نفسه فقال لزميله :

ــ هل ترانى فى حلم ؟ .. أخبرنى يا ديدى .. بأنى على وشك الاستيقاظ .. حتى ينزاح هذا الكابوس المزعج .. خاصة وانه ليس هناك ما نؤاخذ عليه .

ــ لقد كان هناك من ابصركما بالامس والليلة ..

ووقف بوجان بتكاسل .. وتبعه ديدى .. وقد دس الاخير يده فى جيبه .

ــ بالتأكيد .. لست انا الحالم يا سيدتى .. بل هذا هو مالك .. ويبدو انك تعانين من كابوس مزعج الم بك البارحة .

ــ كفى .. فقد رآكما لوك .. ولا داعى لخداعى اكثر من ذلك .. فقد ابصركما بالامس وانتما تمدان الزيكو بالسلاح .. وفى المساء وانتما تتآمران عند

الاهالى المتوحشين .. هيا من هنا .. والا اضطرت للالقاء بكما فى الخار ج.. وسوف يساعدنى لوك فى اتمام ذلك .

وعلى بعد خطوات قليلة كان لوك متأهبا للتدخل .. وتنهد بوجان بعمق :

ــ أهكذا تتأثرين بالاكاذيب والروايات الباطلة .. والحقيقة أننى كنت استطيع اقناعك بما جرى ، ولكنى أحسب ان ذلك يفيد كثيرا .. والان .. هيا .. للعمل يا ديدى

وكان ديدى قد تحرك دون أن يلحظه احد فأخرج يده من جيبه وبها مسدس هوى به على مؤخرة راس لوك الذى سقط دون أن ينبس بكلمة . وأعاد ديدى السلاح الى مكانه .. وصرخت آن .. تنادى .. الاهالى الذين يقطنون الى جوارها .. ولكن بوجان أمسك بها من ذراعها بعنف كاد أن يكسره ..

ــ لا داعى لهذه الحماقات يا سيدتى الصغيرة ..

ــ يالك من جبان ..!

ــ لا داعى للشتائم .. فقد تضطرينى لاسكاتك .. حسنا .. انك الان لا تصرخين .. هذا شىء جميل منك ..

ــ ما الذى تريده ؟ لماذا ضربت لوك المسكين ؟

ودفع بها بعيدا عندما حاولت الاقتراب من المرض الذى كان يتلوى يئن .

ــ استمعى الى يا سيدة جراى .. أولا .. سنظل هنا .. لان المكان يروق لنا .. ومن ناحية أخرى لانه مناسب لادارة أعمالنا ..

ــ أعمالكم ؟ أثراها بعض الجرائم ؟

ــ سوف أخبرك عما قليل .. وثانيا .. سوف

تتصرفين كما اطلب اليك .
ــ لا داعى للاعتماد على .. فانى أرفض .. ولو اضطررت
ــ ياله من منطق اطفال .. سوف تطيعين .. طالما اردت الحياة .. وما اظنزوجك ذو القلب الكبير براغب فى رؤيتك وقد تمزق أنفك أو تشوه وجهك .. اتفقنا ؟
ــ انك .. انك ..
ــ لا داعى لهذه الالفاظ .. ولا تنسى بأننى كالصياد لن أترك للفريسة فرصة للفرار ..
ــ وهل أنا هى تلك الفريسة ؟
ــ أيتها الحمقاء الصغيرة .. من الان فصاعدا عليك بالعمل على تنفيذ أوامرى .. اتفقنا ! ..
وعادت آن تصرخ وهى تقول له :
ــ سترى ماذا يحدث لك عندما يعود زوجى .. انك .
ــ استمعى الى ايتها الانسانة الجذابة .. فاننى رجل طيب ، ولا أحب ان يتعلق الغير بالاوهام الكاذبة لفترة طويلة .. فلتعلمى بأن زوجك الدكتور المعجزة كما يسمونه لن يعد بعد اليوم .
ــ ما الذى تقصد ايها الجبان ؟
ــ اقصد ببساطة ان زوجك لن يعــود سريعا الى هنا .. اليس كذلك يا ديدى ؟
ورد عليه الاخر وهو يضحك عاليا :
ــ هذا صحيح .. يا عزيزى ..
واحست وهى تتأملهما وكأنها قد القى بها فى دوامة .. وادركت السبب الذى كان يجعلها تشعر بالقلق منذ الامس .. فقد كان الخطر يحيق بها .. خاصة بعد أن تأخر جون فى العودة الى البيت .
ــ ما الذى أصابه ؟

ــ لا شيء .. فلتهدئي بالا .. فلسنا مجرمين . بل نحن تاجران .. وها أنا أكرر لك هذا .. وأظنك تعلمين بأن التجار يحبون أن يحرزوا النجاح فى أعمالهم .. ولقد كان ممكنا أن يحول الدكتور جراى بيننا وبين هذا الهدف .. ولهذا فقد أخرنا عودته الى هنا ولا أكثر من ذلك.

ــ اتراكما عملتما على حبسه .. أو تسليمه للزيكو

ــ انك ما زالت تعانين من وطأة الاحــلام .. كل ما هنالك أنه لن يتمكن من عبور النهر .. هذا كل ما فى الامر .. وهذا يهيء لنا الانتهاء من أعمالنا .

وضغطت على يديها وقد شعرت بقواها تخور .. والقت نفســها عاجــزة عن القيــام .. بأى عمل لاعاقة مشاريع الرجلين الشريرين .. وتألمت فى نفسها .. فلو لم تكن زوجة لرجل فى هذه البعثة بكل ما يتعين عليها من واجبات .. لكانت قد اتت أمرا ..

ــ انني أمقتك ..

ــ هدئي من روعك يا صغيرتي .. ولتحاولي اغلاق فمك لتتفادى تلك الــكلمات العديمة الجــدوى .. والخطيرة .. وعليك بالعودة الى اعمالك فى الوقت الحالي .. وعليك أن تجعلي الامور تمضى على طبيعتها .. ولتأمرى باعداد الطعام كالمعتاد .. ولا داعى لاية محاولات .. ولتعلمى بأنك سوف تتناولين الطعام قبلنا .. ولا داعى لان يضايقك هذا التصرف من جانبنا فانه يقال بأنها عادة قديمة كان يتبعها القياصرة .

وأثناء مغادرته المكان ضحك بوحشية وهو يقول لها :

ــ ثقى بأنك ستحصلين على الكثير من وراء اقامتنا هنا .. ولعل لوث الماهر قد حدثتك عنا ؟

ولتذكرى بأن الزيكو يحومون فى المنطقة .. ولسبب

غير معروف فأنهم لطخوا اجسامهم بألوان الحرب .. ولو أنك مثلا عمدت الى تجريدنا من الاسلحة .. فانك بهذا قد تضطرين الى مواجتهم وحدك .. ومن يدرى ماذا قد يحدث ؟ .

وشحب وجهها .. فقد كان احتمال مهاجمة المكان ممكنا .. وأدرك بوجان ما تعانيه من خوف .. وهــذا ما جعله يقول لها : ـــ حاولى أن تفكرى جيدا يا سيدة جراى .. ولتعلمى بأننا أوفى أصدقائك ..

الفصـــل الخامس

لم يكن مطار كانابا معدا لاستقبال الطائرات الضخمة، ولهذا فقد كان لزاما على المسافر اليه أن يستقل احدى تلك الطائرات المتهالكة بما فيها من مقاعد غير مريحة وخدمة غير مرضية ، وان كان يعمل على قيادتها طيارون مهرة .. وقد يضطرب المحرك الامر الذى يجعل الراكب يرتعد متخيلا نفسه هالكا لا محالة ، ولكنه ما يلبث أن يصل الى كانابا وقد تفككت قدماه وتخاذل جسده نتيجة هذه الرحلة المرهقة ..

وفى هذا الصباح كان من بين الركاب الثلاثة أو الاربعة الذين وصلوا راكبا يمضى بنشاط ، وكأنه قادم باحدى الطائرات البوينج .. كان قوى البنية ، ذا ملامح جادة، تبدو عضلاته من خلال ملابســـه الخفيفة .. وراح الغريب يتأمل المكان وقد علت وجهه ابتسامة عريضة .. ونظراته تلمع .. ويبدو انه كان سعيدا لما سيقوم به من رحلات لانتقاص الحيوانات المفترسة .. ونظرا لان موظفى جوازات كانابا كانوا على دراية بالاشخاص المرموقين فى العالم فقد توجه الموظف المختص بهــذه

الكلمات للقادم وهو يمسك بجواز سفره : ــ السيد / سيمون تامبلار ..
واحنى القادم راسه عندما سمع ما قاله الرجل . وسأله :
ــ أتراكم عرفتم بأخبارى هنا فى كانابا ؟
ــ اننا لسنا متأخرين كما يتخيل البعض يا مستر تمبلار .. فهناك العديد من الاهالى معنا قد سمعوا عن القديس .. اعنى قديس لا علاقة له بالرهبان .. اليس كذلك ؟
وقال له سيمون ضاحكا :
ــ الحقيقة اننى تناقشت كثيرا فى هذه المسألة .. واخيرا وجدت بأنه هناك تشابها بينى وبين القس جورج ..
وهز الموظف راسه .. ثم سأله أن يتفضل بفتح الحقائب ؟
، أتراك تخشى أن يكون معى مدفع ؟ أو ربما دبابة مفككة ؟
وأخذ الرجل يتفحص ملابسه وعندئذ اكتشف غمدا به سلاح للصيد .. وقال له القديس موضحا :
ــ أرجو أن تصدقنى .. اننى لا أبحث عن فريسة ذات قدمين .. بل بأربعة . .وخاصة أننى سمعت بأنه هناك منطقة ميثاقى فيها الفيل والخرتيت والجاموس . .ولذا فاننى متشوق للذهاب اليها .
ــ اننى آمل لك حظا موفقا يا سيد ، ولتعلم بأننا لا نحب المتاعب ، ولسوف أبلغ رئيسى عن قدومك ، واننى على ثقة بأنه سيمدك بالتصريح اللازم للصيد .
وأخذ يتأمل القديس وهو يتجه صوب الباب

الخارجى للمطار ، ومن ثم يستقل سيارة من سيارات الاجرة .. وكان سيمون قد عمل على حجز غرفة بالفندق الكبير .. وهو المكان الوحيد فى كانابا الذى يستحق بجدارة من يسمى فندقا .. وكان المبنى ذا طابق واحد ، فى ان الدور الارضى من غرفة الطعام وصالة معدة للجلوس تطل على الحديقة .. حيث كان يوجد حمام للسباحة ذو مياه موصلة .. واما عن الغرف فلم تكن تتعدى العشر .. وعلى كل فقد كان المكان مناسبا للفترة التى ينوى سيمون قضاءها فى المكان .. وما أن ابصر به عامل الاستقبال حتى ابتدره بقوله الذى ينطوى على المزيد من المبالغة :

ــ وانا لم نصدق يا سيد تمبلار عقب ان تلقينا برقيتك انك ستحضر للاقامة عندنا .. فهذا شرف كبير للمكان ولنا .

وراح يتأمل القادم وخاصة ملامحه الجادة وابتسامته التى يعرفها الجميع فى العالم .. ونظر الى حقائبه الفاخرة التى وضعت عليها العديد من الاوراق اللاصقة الملونة ، وقد تخيل الورقة الجديدة التى تحمل اسم الفندق وقد صنعت الى جانب مثيلاتها .. وكما كان الحال فى المطار فقد قال مداعبا القديس :

ــ لا اظنك ستجد الكثير من المجرمين هنا يا سيد تمبلار .

ــ تماما .. ولذ فقد حضرت الى هنا هربا منهم .

واردف يقول :

ــ لقد سمعت الكثير عن الصيد هنا .. ولهذا فاننى سعيد بالحضور .

وابتسم عامل الاستقبال .

ــ ما كنت أتصور أنك بعد مطاردة الجناة تسعى وراء رياضة عادية كمطاردة حصان وحشى مثلا ..

وضحك القديس بطريقة استرعت انتباه الافراد القلائل الموجودين فى المكان المجاور .. ولذا فقد استطرد موضحـــا .

ــ انك على ما يبدو تعتمد كثيرا على ما تقـــراه عنى .. والحقيقة اننى وفى أحيان كثيرة أدهش مما يكتب عنى .. ولتصدقنى عندما أقول لك بأن تعقب أحد الاسود أو المضى خلف قطيع من الافيال لا يقبل نشوة عندى عن السعى وراء مجرم ..

وقبل ان يتجه ناحية السلم توقف ليسأل العامل أن يرشده عن أفضل المرشدين لاصطحابه فى رحلته.. مضيفا بأنه « يريد رحلة ممتعة للادغال » .

وراح يمنى نفسه برحلة موفقة ينعم خلالهـــــا بالشمس الساطعة ومعه القليل من الرجال ممن لا يفهم لغتهم ، وقد أمسك بسلاحه تحت ذراعـــه .. ياله من أمر ممتع أن ينسى لفترة ما نيويورك وباريس ولندن .. كل هذه الاماكن التى تذكره بصيد الرجال والتى كان يجد نفسه خلالها غالبا فريسة يســـعون وراءها وليس مطاردا صيادا .

وفى تلك الاثنـــاء كان جراى يواصل سيره متغلبا على كافة العقبات ، متفاديا ما من شأن أن يعمـــل على تأخيره للوصول الى كانابا .. وقـــد تابع الى جواره فريدى .. وهكذا أمضيا اليوم الاول فى سير متواصل يتخلله توقف لدقائق لامور تتعلق بســـلامة العربة .. وطلب اليه فريدى ان يتولى القيـــادة كما كان متفقا عليه ، ولكن جراى رفض ذلك خشية

أن يؤدى ذلك الى تأخيرهما .
ورغم الظلام فقد مضى جراى مواصلا طريقه ، متفاديا الحيوانات التى كانت تتواثب امامه .. وفى الصباح الباكر وبينما الباعة يتصايحون سوق كانابا توقفت السيارة أمام مقر الحاكم الادارى .. ولم يلبث احد الموظفين ان استقبل جراى الذى روى له ما جرى .. وظل الرجل يستمع اليه باهتمام .. واخيرا انهى جراى روايتين بقوله :

ــ انك تدرك كل شىء يا سيد . وعلينا ألا نتأخر فى اتخاذ قرار .. والعمل على اعداد حملة لنجدتى .
وران صمت طويل .. الامر الذى اقلق جراى ..

ــ هل .. ترفض .

ــ لقد كان بودى الموافقة يا دكتور جراى . . ولكنى لا استطيع شيئا لك .. انك تنبئنى بتحطيم قنطرة .. وان كانت فى الواقع غير جديرة بهذه الصفة .. خاصة وانها لا تتعدى بعض الالواح الخشبية والاسلاك .. ومن يدرى .. فقد يكون الفيضان هو الذى تسبب فى ذلك ؟ ..

ــ ولكن ..

ورفع الرجل يده مقاطعا جراى واردف يقول :

ــ ولنفترض أن الامر لا يتعدى خلافا بين قبلتين ادى الى تلك النتيجة .. فما شأننا فى هذه الحالة ؟

ــ اذن فأنت تتخلى عن ..

ولكن الرجل اسرع يقول :

ــ اننى لا ارفض .. بل أشرح لك الموقف .. ولتتصور ما قد يترتب على تدخلنا وما قد يرسل الى هيئة الامم الى جانب المشاكل السياسية التى

قد تنجم عن هذا التدخل .. وعندئذ يبدأ الجميـــــع في مهاجمة حكومة جلالة الملكة متهمين اياها بانتهـــاج الاساليب الاستعمارية والى غير هذا .

ــ وماذا عن مصير زوجتي ؟ هل اتركها وحيـــدة في تلك المنطقة التي اشتعلت فيها الاضطرابات .

وبدا الرجل متضايقا .. اذ أنه كان يرد مساعدة الدكتور جراى .. ولكنه لا يستطع تجاهل العـــديد من التعليمات التي يتلقاها من آن لاخر محـــــذرة اياه من التصرف بطريقة يؤاخذ عليها .

ــ ورغم هذا فليس هناك مايدل على ان زوجتك مهددة .. ولربما كنت مخطئا في تصورك ..

ــ مخطئا ؟ .. لقد أبصرت بنفسي بالاســـلاك ممزقة .. ومهاجمة الزيكوتي ..

وتنهد الموظف وقال له :

ــ انصت الى .. سأبعث على التو ببرقية الى سكرتير المستعمرات .. موضحا بها الحالة .. آملا أن أتلقى الموافقة على امدادك بحملة .

واستبدت الثورة بجراى حتى أنه راح يضرب بيده المائدة الجالس اليها بعنف .

ــ ان الامر عاجل . . ويتوقف على الوقت .. واظنك تدرك معي بأن الزيكو وهم من القبـــائل المتوحشة لا يكترثون كثيرا بما تتبعون من روتين .. ولو أنهم قد استقروا على القتل فلن يمكن ايقافهم .. وأنت الان .. تطلب مني أن أتخلى عن زوجتي ..

وبينما جراى يحاول شرح موقفه للرجـــل اذا ببعض السطور تسترعي انتباههن في أحدى صـــفحات

صـــحيفة كاناباستار التى كانت أمام الرجل .. ولم يعر الامر أهمية كبيرة اذ كان يهدف الى اقنــــاع من جاء اليه طالبا العون .

ـ اننا نضيع الوقت سدى .. هيا ابرق .. وعن نفسى فلن أعدم وسيلة فى الحصول على بعض الرجال وبالتالى مهاجمة الزيكو .

ـ وكيف تعبر النهر يا دكتور .. هدىء من روعك .. لقد وعدتك بالاتصال بلندن .. وكذلك ســأطلب مكتبنا فى نيروزى للاستفسار عما اذا كانت لديهــم هليكوبتر .. وهكذا يتسنى لك الوصول الى مناطق الزيكو بســهولة .. وهذا بعــد الحصــول عــلى موافقة لندن ..

عندئذ قال جراى معلقا وقد استبد به اليأس :

ـ وفى تلك الاثناء ..

وهكذ اضاع تلك الساعات الطويلة للوصــول فى طلب النجدة .. واذا به يخرج صفر اليدين .

ترى ماذا تفعل زوجته فى مواجهة هؤلاء المتوحشين .. خاصة وان لوك لن يمكنه القيام بالكثير ازاءهم .. وقال بصوت خافت :

ـ اذن فأنت لا تستطيع شيئا .. وأنا كذلك !

وعاد يتأمل تلك السطور التى قرأها منذ قليل على صفحات الصحيفة الموضوعة أمام محدثه ..

وكان هذا نصها : « وصول القديس الى كانابا .. لمجرد صيد الاسد » ..

ـ هل هذا ممكن ؟

ـ ماذا تعنى ؟

ـ القديس ؟

ـ وماذا يعنى ذلك ؟

ـ ها أنت غير قادر على انقاذ زوجتى .. وماأظن القديس ليتردد فى القيام بذلك ..

وهب الموظف واقفا وهو يقول :

ـ اننى أمنعك من المحاولة يا دكتور جراى . . وأظنك تدرك المتاعب العديدة التى نعانى منها .. ولسنا بحاجة الى تعقيدات جديدة من شأنها اشعال الاضطرابات فى كانابا .

ـ اذن اعمل على وقفى !

واتجهن صوب الباب والموظف يتأمله فى صمت .. والحقيقة انه كان يرغب فى مساعدته ولكنه كان عاجزا عن القيام بذلك .. ولذا فقد ظل واقفا بلا حراك.

وقبل ان يغادر المكان استدار جراى ليقول له :

ـ اننى لا أعرف الطريق الذ ىسوف أسلكه .. ولا أدرى كيف أعمل على انقاذ آن .. ولكنى مصمم على اتخاذ كل وسيلة للحيلولة دون ملاقاة زوجتى لمصير محتوم .. واذا ما تأخرت بسببك ..

وتمالك نفسه .. وتنهد بعمق وقال :

ـ يا الهى .. اغفر لى .. واعمل على حماية آن .

ودون أن يرجع الى الصحيفة اتجه جراى صوب الفندق الكبير .. وهناك سأل عن القديس ، وأشار عامل الاستقبال ناحية البار :

ـ نعم .. انه هذا السيد ذو الوجه الاسمر .. ولقد تعرفت به بالامس وعلى التو ادركت انه من نوع غريب قلما يقابل المرء مثله .. ولو لم أكن قد نسيت الاعتقادات البالية لاعتقدت بأنه ساحر أبيض

.. فعيناه تنفذا الى أعماقك بطريقة غريبة عندما تحدثه .. وكأنه يطلع على ما يجول فى طوايا نفسك .

ولم يكن جراى يستمع الى محدثه باهتمام .. اذ كان يفكر فيما يقدم له القديس من عون .

وراى سيمون يتفحص احدى الخرائط تمهيدا لرحلته فى الادغال .. ووقف جراى أمامه مباشرة حائلا بينه وبين الضوء .. وقال له متسائلا : مستر تمبلار . .

ونظر سيمون فراى امامه رجلا يبدو مرهقا . . واحس ناحيته بالارتياح ..

ـ ارجو المعذرة .. ولكنى بحاجة اليك ..

ولم ينبس تمبلار بكلمة .. وقد ادهشه ان تسعى المتاعب خلفه انى ذاهب .. ولو كان هذا المكان فى قلب أفريقيا ..

واضاف القادم :

ـ ان القديس وحده هو الذى يمكن أن يساعدنى ..

وابتسم سيمون للرجل وبطريقة تنم عن ارتياحه للقادم :

ـ حذار أيها السيد أن تكون قد سمعت بأنى آت بالمعجزات .

وفاجأه جراى بقوله :

ـ وعن نفسى فانى قادر عن الاتيان بالمعجزات التى تتحدث عنها لولا تلك الظروف التى المت بى .

ووقف سيمون وقد ساوره التردد فى تصديق ما يرويه هذا القادم .. ولانه ادرك مدى ما كان يعانى منه الرجل فقد تركه يمضى فى الحديث . .

ــ ان اسمى هو جون جراى ــ الدكتور جون جــراى . ورغم اننى فى الحقيقــة طبيــب الا اننى أعمل بالاضافة فى الارسالية .. وأمارس عملى فى أكثر مناطق كانابا مشقة ، وذلك فى موكولو أى فى قلب مناطق الزيكو ..

وردد الاسم المذكور وقد سرت فى أوصاله رعدة واضحة وأعا سيمون نظره الى تلك الخريطة التى كان يتفحصها قبل ذلك بقليل ثم قال معلقا :

ــ لقد قرأت هذا الاسم .. وأمان ملاحظــة بأن الزيكو عبارة عن قبيلة متأخرة جدا ، ومتوحشة .

ــ هذا صحيح .. ورغم هذا فقد اكتشفوا وأعدوا دواءا لم تعــرف بعد خــواص مواده .. حتى لقــد أطلق عليه الكثيرون اسم الدواء المعجزة .

وفى تلك اللحظة قال القديس لجراى :

ــ ماذا لو ذهبنا الى غرفتى .. فقد يلتقط بعض الحاضرين أحاديثنا ..

ــ اذن .. فأنت توافق على مساعدتى ..

وهز سيمون رأسه وقال له :

ــ لا .. يا دكتور .. ولكنى لا أرفض الاستماع اليك .

وما هى الا ثوان حتى كانا فى غرفة ســــيمون ، والقى هذا بنظرة فاحصة من خلال باب غرفته المطل على الشرفة ، خشية ان يكون هنــاك من يسترق السمع عليهما .. وأما جراى فقد القى بنفسه متهالكا على أحد المقاعد وقال مبررا ذلك :

ــ لقد خارت قواى .. فلقد ظللت أقود العربة أربعــا وعشرين ساعة .. كان هدفى هو الوصــول

الى كانابا .. بأمل ان لا داعى .. فلا شك انالامر لا يمهك كثيرا .. ولكن الذى يشغل بالى الآن هو العمل على انقاذ زوجتى ..

وقاطعه سيمون قائلا :

ــ على العكس يا دكتور فاننى أهتم بكل امر غريب .. وحتى الارهاق الذى تعانى منه .. فلا جدال فى أن نتيجتــه سبب ما .. ولنتحدث أولا عن الدواء المعجزة .. هل هو بحق كذلك .. ام انهـــا مجرد أقاويل ..

واخرج جراى من جيبه علبة صغيرة وهو يقول :

ــ اليك هذه الكمية الضئيلة من مرهم يتـــداوى بهالزيكو .. وهو علىحد قولهم يزيل كلأسباب المرض.

وامسك سيمون بالعلبة ورفع غطاءها ورأى مرهما أخضر اللون ذا رائحة نفاذة .. وابتسم وأما جراى فقد ظل صامتا لا يتحرك .. اذ كان الحزن يخيم على قلبه فيجعله عاجزا عن الابتسامة .

ــ وما الضرر من الرائحة .. ان أهمية هـــذا الدواء تـــكمن فى الفـــائدة التى تعـــود على الزيكو من ورائه فقد ساد الاعتقاد بين القبائل بأن هذا الدواء يجعل الزيكو لا يموت .. طالمـــا اســـتخدم هذا الدواء .

ــ وهل هذا اعتقادك يا دكتور ؟

ــ لا أعرف كيف أدلى اليك باجابة قاطعة يا مستر تمبلار ؟ فقد أجريت التجارب على هذا الدواء وان كنت لم أشـــهد النتـــائج بعد .. ذلك انه اكتشـــاف حديث .. ولا تنسى بأن العلم الحديث قد اســـتفاد كثيرا من تلك الادوية التى تعدها القبائل البدائية .!

وشعر سيمون وهو يستمع الى جراى بالمغـــامرة تسعى وراءه ..

ــ وما الفائدة التى ترجى من هذا الدواء :

وتماسك جراى لئلا يغضب اذ كان يود أن يدور الحديث حول مصير زوجته ولا شىء غير ذلك .

ونظرا لانه لم يكن هناك مناص من الاجابة عـــلى القديس فقد قال له شارحا :

ــ ان لهذا المستحضر أثرا غريبا فى اعادة تكوين الانسجة ، وهو يساعد على التئام الجروح بسرعة ، ويتم ذلك فى خلال ليلة واحدة ، أما الجرح الفائر الذى يصل الى العظام فانه يشفى فى يومين .

ولم ينطق سيمون بكلمة .. فلا شك ان مثل هذا الاكتشاف اذا ما كان صحيحا يكون حدثا جليـــــلا فى دنيا الطب .. وذلك اذا ما أمكن حقا الوصول الى الشفاء بعد ليلة واحدة .. وجعل المصاب يمشى على قدمين بعد يوم .. ولذا فقــد هز راسهمغـــارا .. وابتسم الدكتور جراى ..

ــ انك تدرك ذلك !

ــ تماما ..

ــ نعم .. واذا فأنت لطبيب على ثقة من جدية هذا الدواء عقب وضعه مباشرة ..

ــ تماما ..

ــ هل أخبرت أحدا بهذا الاكتشاف يا دكتور ؟

ــ نعم .. فقــد كنت فى مؤتمـــر طلبى فى نيروبى .. وهناك القيت نبـــذة عن هذا الدواء .. محتفظـــا بما عندى من اسراره فى محاولة للوصـــول به الى الافضل ، اذ كان يتعين على معاودة الاتصال بالزيكو للمزية من المعلومات .. ولكن ها انا وفى طـــريقى

للعودة أجد القنطرة التى يتعين على عبورها محطمة.

وبسط سيمون الخريطة التى معه أمام السرير الذى كان يجلس عليه .. متتبعا رواية الدكتور الذى اوضح له وهو يشير الى الخريطة :

ــ ها هو مقر البعثة ، وها هو النهر .. وتلك اراضى الزيكو .. ولقــد فوجئت عنــد محــاولتى العودة بعذ يومين من الغياب عن بيتى باكتشاف أن هناك من دمر القنطرة .

ــ اذن فأنت تتهم أحدا معينا بذلك ؟

ــ لا .. ان الامر واضح .. فقد تم الاستعانة بمادة متفجرة .. وهذا يدل بأن من قام بالنسف ليس من الزيكو الذين لا يعرفون كيفية استخدام الاسلحة النارية .. ولقــد حــدث بالامس ان بعض الزيــكو حاولوا قتلى .. اى انهم اعلنوا الحرب ضــدى .. وزوجتى ..

وأمسك جراى بسيمون .. وهو يقول له :

ــ ان زوجتى وحدها .. وليس معها سوى المرض ، وما أظنه بقادر على مواجهة الزيكو بمفرده ..

وراح سيمون يتمعن فى الأمر .. وأحس أن المغامرة قد بانت قريبة منه .. تهب نسامتها عليه وان عليه ان يجازف مرة جديدة وان يتعرض للمجهول وللموت .. وسأل : ــ ومن الناحية التجارية .. أيؤدى هذا الدواء لربح الملايين .. هل هذا رأيك يا دكتور ؟

نعم .. ولكن لم افكر فى ذلك البرهة .. اننى لا اذكر سوى زوجتى .. والمخاطر التى تتعرض لها ..

ــ اننى لا اهدف اليك .. ولكنى اقصد بعض من يكونوا قد استمعوا اليك فى المؤتمر الطبى .. فقرر الاسراع الى موكولو فى محاولة للكشف عن هذا الدواء

.. منتهزا غيابك عن المنطقة ، وحائلا دون عودتك بتدمير القنطرة لاتمام ما يصبو اليه من ثروة .. هيا .. أيها الرجل الضـــائع فى كانابا للعمل على سر نشر اكتشافك .

وضحك وقد بدت عليه الثقة :

ـــ انها ولا شك مسألة تثير اهتمام مجرمين مقتدرين

واردف وقد لمعت عيناه بالنشرة :

ـــ وبالتالى فان الامر يثيرنى كذلك ..

الفصل السادس ..

فى تلك الاثناء كان بوجان وديدى أصحاب الشأن فى مقر البعثة باتا يعتقدان بأن الثروة قد اصبحت فى متناول ايديهما .. وبثمن غير باهظ .. ورغم ان زوجة الدكتور جراى كانت موجودة الا أنها لم تكن تشكل أية مخاطر بالنسبة لهما ..

وهز ديدى كتفيه : ـــ كان من الافضل عدم ابلاغها بشيء .. وبهذا كنا نعمل بحرية .. وعلى كل فانها ..

وقاطعه زميله بقوله : ـــ لتعلم او تجهل .. فذلك لا يغير من الامر شيئا .. فعما قريب نعرف سر الزيكو

ولمعت عنا ديدى وهو يسأله : ـــ ثم ماذا ؟ ..

وامضي بوجان وزميله اليوم فى التجول حول البيت خشية هروب آن او خادمها .. ولكن الى اين يهربان .. والاشـــــجار تحيط بالقرية .. واحد الطريقين الموجودين يؤدى الى حيث كانت القنطرة والاخر الى داخل منطقة الزيكو ..

وكما هى العادة فقد ظلت آن تمارس عملها وتستقبل المرضى .. معالجة جروحهم وعيون اطفالهم الملتهبة ..

يساعدها فى ذلك لوك .. وكانا يتبادلان الافكار من آن لآخر عندما تتقابل نظراتهما .. وما كانت هذه الافكار بجميلة .. وخاصة وانهما كانا يفاجئان بظهور بوجان يتبعه ديدى .. ورغم هذا فقد اقترب لوك من زوجته الرجل الذى كان يكن له كل التقدير ..

وقال لها بصوت خافت : — اننى أتوسل اليك الا تقومى بأية حركة قد تضر بك فالرجلان شريران .

لو اننى كنت على ثقة من أن جون ..

وعلت وجه لوك ابتسامة مشرفة :

— لا شك أن الدكتور يتخذ الآن خطوة ما .. ورغم اننى لا اعرف كيفية حضوره الا انه سينفعل .

وأعادت تلك الثقة التى كان يتحلن بها لوك الشجاعة الى السيدة .. ولقد كانت هى ذاتها مؤمنة بأن زوجها لن يتخلى عنها ، وانه سيعمل على انقاذهما

وفى تلك الليلة التى كان جرأى يتجه فيها بأقصى ما عنده من سرعة تجاه كانابا طالبا النجدة — كان بوجان وزميله يتسللان من خلال الاشجار .. وحسب الاتفاق فقد : استقبلا وسار برفقة من حفر اليهما عبر طريق ضيق يتحبطان فى الظلام ويصطدمان بما يصادفهما على الطريق .. ولم يكتم ديدى مخاوفه بل أنه حاول التراجع قائلا لبوجان :

— ان هذه الطريقة فى السير فى الظلام لا تبعث على الطمأنينة .. وخاصة مع مثل هؤلاء القوم الذين قد يتصورون انهم قد اصبحوا لا يقهرون ان امتلكوا البنادق وحتى لو كانت بلا ذخيرة ..

— هيا .. يا ديدى .. استمر .. وحاول أن تحافظ على الحقيبة التى معك ..

وهكذا وصلا الى كوخ منخفض .. وجدا بداخله

نارا شــــبه .. خافته . وضع فوقها اناء به سائل ذو رائحة كريهة .. وابصروا أمامهما برجل قد جلس القرفصاء .. تستر الاوراق الجزء الأسفل من جسده .. وقد بدا صدره عاريا .. ويخفى وجهه بقناع خشبى وتتدلى من حول عنقه العديد من الاساور .. واستدار الرجل ناحية القادمين . .وقد أمسك بيده قطعة خشبية حركها فى اتجاههما وتتدلى منها جمجمة طفل .. ولم يلبث ان نطق بكلمات مخنوقة نتيجة الغطاء الذىيحيط براسه .

ومهس ديدى فى اذن زميله :

ـ انه ساحر القبيلة .. وانه يخيل لى بأنه سبق لى رؤيته قبل ذلك .. ولكن ..

وقال بوجان وقد كاد يفقد صبره :

ـ ولكن ماذا ؟ ..

ـ انه على ما يبدو الساحر الثانى للقبيلة .. فلدى كل جماعة من يرعى شئونها .. وهناك فى النهاية الساحر الكبير وهو الذى يمكن الركون اليه ..

ـ حسنا .. على كل فلنحاول مع هذا .. اعطينى الحقيبة .

وما أن تناول بوجان الحقيبة حتى قال لزميله بلهجة آمرة :

ـ أخبره بأننى كذلك ساحر وأن لدى من الأمور ما يعجز عنها ..

واسرع ديدى يترجم الكلمات .. وزمجر الساحر ونقل ديدى لبوجان قوله :

ـ انه يقول انك تدعى ذلك ، وانه لا يمكن لرجل أبيض أن يتفوق عليه .

ـ أجبره بأننا سنرى ..

وأخرج من الحقيبة علبة سحب منها قطعة فى حجم الحلوى .. ثم قرب منها ثقاب .. وعندئذ تصاعدت منها شعلة أحدثت دخانا كثيفا وازاء دهشة الساحر اذا بثعبان يظهر ويبدو وكأنه قفز فى الهواء ، ثم ما لبث أن سقط على الارض .

وصاح ديدى معلقا : — رائع .. رائع ..

وأخذ الساحر يضاعف من كلماته وحركاته .. وقال ويدى مترجما :

— وما المقابل الذى تريده ؟

ورد عليه بوجان بشدة :

تظاهر كما لو كنت لا تعرف .. أخبره بأننى على استعداد لاعطائه كافة الثعابين ، وتلقينه كل ما عندى من اسرار فى هذه الحقيبة — لو انه اعطانى الدواء الذى يجعل الزيكو لا يقهرون ولا يموتون نتيجة الاصابة بالجراح .

وفى محاولة لاغراء الساحر أمسك بوجان بالعلبة من يديه . عارضا اياها على الساحر .. ولو ان الاخير كان ملما بالانجليزية لقرأ الكلمات التالية المدونة علهيا (لعبة الثعبان .. حيلة ظريفة للسيدات والآنسات .. يكفى استعمال النار لظهور الثعبان ..)

وقال بوجان لزميله : — ان هذه العلبة ملك له اذا ما أرشدنى عن الدواء .

وأردف يقول : — ان الكثيرين من البيض يتحدثون عنه ولا يصدقون انه حقيقى ، وان باستطاعة ساحرى الزيكو أن يكونوا جادين فى اعداده .

ومضت لحظات قليلة .. بدا خلالها الساحر راغبا فى الحصول على العلبة .. حتى أن بوجان وللتأثير عليه قام بوضع العلبة فى حقيبته .. وتحرك قليلا كما لو كان

يود الانصراف .. ونادى عليهما الساحر بشدة .. .واخذ ويدى يترجم كلماته على الفور :

ـــ انه يؤكد عدم معرفته بهذا الدواء .. وانه لدى الساحر الكبير .. وهذا ما قلته لك يا زميلى فما الرجل الا ساحر ثانوى .

ـــ حسنا .. أخبره بأننى اريد رؤية الساحر الكبير .: لاننى اود النقاش معه .. علما بأننى لا اخشاه بتاتا .. هو أو رؤساءه ..

وراح الســــاحر يهتز بعصبية .. وتنم كلماته عن الفزع ...

وقال ديدى شارحا الامر لزميله :

ـــ انه يقوم بقراءة بعض التعاويز .. ولتعلم بأن الساحر الكبير يملك قدرات خارقة .. وبامكانه ان يعيد المرء طفلا . او ان يجعلك ترابا بالنظر اليك لبرهة .. او يجعلك حيوانا .. هل تتصور الان مدى قدرته ؟

وأحس بوجان بالنشوة اذ كان حتى الان منتصرا فيما يسعى اليه .

ـــ اننا هذه المرة نسلك الطريق السوى يا ديدى .. وما ان ننتهى من مهمتنا حتى اترك الثعابين لهذا الرجل ولذا فاننى الح فى طلب الساحر الكبير ، والا فلن تكون هناك أسلحة أو ذخائر او أسرار .. حاول اقناعه بأن لدى العديد من الاسرار الغامضة .

وأردف يقول له بعد ان فكر قليلا :

ـــ واعمل على تحذيره .. وعرفه بأن الزعيم رانجا سيكون غاضبا اذا لم يساعدنا ..

وغادر المكان وقد لاذا بالصمت .. فى طريقهما الى مقر البعثة .. وما أن وصلا حتى توجها الى الغرفة المتخصصة لهما .. وقال بوجان هامسا : ـــ

ــ سأظل ساهرا حتى منتصف الليل .. وبعد ذلك يكون دورك فى المراقبة .. اذ انى لا اريد أن تضايقنا السيدة بأية الاعيب قد تعدها .

وضحك ديدى.. رغم هذا فقد كان الشعور بالقلق يجتاحه .. وتذكر بأنه فى اللحظات الحاسمة عند مطاردة الحيوانات المفترسة كان هادئا ، اما الان فانه نهبة للمخاوف تطارده ويشعر بالخطر الداهم يتربص به .. وما أن اشرقت الشمس حتى نادى على زميله :

ــ كلما فكرت مليا وجدت ان الامور تسير ببطء ..

ورد عليه بوجان معترضا :

ــ فلتكن اكثر هدوءا يا ديدى .. واننى اكرر لك قولى بأن رائحة الملايين قد باتت قريبة منا ... وعما قريب تكون الثروة بين ايدينا .. بل اننى اتخيل شركتنا التى ستقوم بانتاج هذا الدواء .. وما سيكون لها من نجاح ..

ولم يكن ديدى متحمسا كزميله .. فقد ظل طوال الساعات الاخيرة نهبة للافكار السوداء . ولهذا قال مزمجرا :

ــ ان السيدة جراى تثير قلقى ...

ــ وقاطعه بوجان وهو يتأمل مدام جراى وهى تتجه ناحية المركز الطبى

ــ ولماذا ؟

ــ انها تبدو خافقة تماما مستكينة لكل ما اطلبه منها

ــ هذا يدل على انها ادركت انه لا يمكن ان تأتى بأى أمر ضدنا ..

ــ ولكنه كان يتعين عليها اظهار القلق فيما يتعلق بزوجها .. خاصة واننا هنا ثم هذا المدعو لوك

اردف بوجان يقول :

ـــ نعم .. ان المرض يعلم بكل شيء . وفيما يتعلق به فان ضربته كتلك التى انزلتها به كفيلة بان تجعله يلزم الصمت .

وابتسم ديدى .. فقد احسن حين تصرف بشدة مع الزنجى .. والا كان الاخير مثاراً للمتاعب التى قد تعوقها عن أداء المهمة بنجاح .. وهز بوجان كتفيه واخذ يداعب المسدس الذى كان يتدلى من حزامه .

ـــ لقد أدرك اصدقاؤنا حقيقة الأمر .. فلو انهما حاولا الفرار .. فانهما بعد ثلاث ساعات طوال يصلان الى قنطرة محطمة .. ثم لا تنسى ان فكرة الزيكو الذين يحرمون من الضواحى كفيلة يجعلها هادئين .

واشعل ديدى سيجارة .. وما لبث ان قال لبوجان:

ـــ الم تحط يا زميلى من الزيكو ؟

ـــ فيما يتعلق بماذا ؟

ـــ تخيل لو انهم تغلبوا علينا .. هل نسيت ان لديهم الاسلحة .. هداياك ..

ـــ لا .. يا ديدى .. بل قل هدايانا ..

ـــ لا يهتم ذلك .. ولكن لنعلم بأنهم قد يحاولون القضاء علينا .. هل تدرك معنى ذلك ؟

ـــ هيا .. هيا .. لقد اصبحت انهزاميا .. ياعزيزى ديدى .. واننى لا تساءل أحيانا وان كنت قد احنت باختيارك ..

وفى صمت مطبق راح كل منهما يتأمل الاخر .. واخيرا ابتسم ديدى .. واشعل سيجارة

وهو يقول لبوجان : ـــ انك على صواب .. قريب نكون اثرياء .

الفصل السابع

قبل انقضاء اليوم التالى كانت عربة الدكتور جراى قد عادت ثانية قرب حافة النهر .. ويا لها من رحلة . ! كان جراى خلالها يقود العربة بأقصى سرعة غير عابىء بما قد يصيبها من تلف .. وحاول سيمون عبثا ان يقلل من قلقه .

ــ محال أيها القديس .. ان صورة آن لا تفارقنى لحظة واحدة واننى اتخيلها هناك وحيدة تحت رحمة من هدم رحمة من هدم القنطرة .. واننى ما زلت أتساءل عن الدافع وراء ذلك ؟

ــ لا داعي لان تتضايق يا جراى .. ول كنت معتادا على المغامرة لادركت بانه يتعين على المرء الاحتفاظ بالهدوء وابعاد الهواجس .. والا وجدت نفسك عاجزا لحظة ان تضطر للعمل ...

ــ اننى اكن لك كل التقدير ايها القديس .. ولست ادرى ماذا كنت افعل لو لم أقابلك فى كانابا ..

ــ انك تبالغ كثيرا فى الامر يا جون .

ولقد حدث البارحة وهما فى الفندق الكبير يعدان خطة العمل ان تقدم اليهما مرشد الرحلة قائلا لسيمون :

ــ لن يمكنك أن تتصور يا مستر تمبلار كم تعتبر مطاردة الرجال ضئيلة بالنسبة لما سترى .

ــ ارجو المعذرة .. اذ أننى انوى السعى وراء القردة قبل الفيل ..

ودهش المرشد لكلام سيجون .. اذ انه ليس من المعتاد اصطياد القرود .. ولا يمارس هـذا الامر الا الزنوج .. ولكن سيمون عاد يقاطعه قائلا :

ــ ان لدى فكرة جديدة .. ان القرود تخشى كل ما يمشى على قدمين .. فما رأيك لو اننا هبطنا عليها

من السماء ؟ ...

واحس الرجل بالاستياء من كلام سيمون وغادر المكان متضايقا .. ولقد طرات لسيمون فكرة النزول فى موكولو عن طريق الجو .. وماذا اجدى من استعارة طائرة ومن ثم الهبوط هناك .. ولكن جراى قال له

ـ محال ايها القديس .. فليست هناك محوات للهبوط .

ـ وهل تصورت بأننا سوف نستعين بطائرة اسرع من الصوت .. وما أظن مهاجمة الزيكو تتطلب بأى حال طائرة س ١٥ .

ـ وحتى لو لجأت لطائرة صغيرة فما اظن ذلك ممكنا .. فمنطقة موكولو تغطيها الاشجار الكثيفة ..

ـ حسنا .. علينا بالاستعانة بالهليوكوبتر .

ـ هذا الا اذا كانت غير متوفرة فى كانابا .. لقد فكرت فيها .. ولكن الموظف الذى قابلته فى مكتب الحاكم قد وعدنى بمحاولة البحث عن هليوكوبتر فى نيروبى .. ومن يدرى متى تصل ؟

واردف الدكتور يقول : ـ حدثنى ايها القديس .. ليس هناك من سبيل سوى الطريق الذى سلكته بالأمس .. واننى اتوسل ان تأتى معى بهذه الوسيلة .. وحتى عندما نصل الى هناك .. فسيكون الهنر هو العقبة امامنا .. ولن اعرف ماذا يتعين علينا ان نفعل عندئذ .

وهنا رفع سيمون يده وسأله جراى :

ـ اليس هناك من طريق آخر ؟

ـ لا ..

ـ الا يوجد مكان يهيىء لنا عبور النهر .. وبالتالى الذهاب الى موكولو ؟

ـ لا .. وحتى بعد عبور النهر فسنيكون علينا ان نجتاز الغابة الكثيفة .. ولو أنك اردت شق طريق ضيق عبرها لاصبحت للعديد من الآلات والرجال .. وهكذا لا يوجد سوى الطريق الذى يحرسه الزيكو .. ولو اننا القينا بقارب عبر النهر .. وتنبه الى ذلك الزيكو لفتكوا بنا ..

ـ حسنا .. اننا سنرحل قبل المساء .. حتى هذا الوقت فسأذهب لشراء بعض الحاجيات ..

وقبل ان يتمم الدكتور قوله : هل يمكننى ان .. كان القديس قد هز رأسه .. فلقد كان يتصور خطة ما قرر الاحتفاظ بها حتى اللحظة الاخيرة لكيلا يعطى املا كاذبا لزوج آن ..

وهكذا تردد على الكثير من محلات كانابا للحصول على مواد مختلفة جعلت فريدى ينظر اليه بدهشة .. ويتساءل بماذا كان القديس هو رسول العناية الالهية او مبعوث الشيطان .. وما لبثت العربة ان راحت تقطع الطريق .. ونظرا لما الم بجراى من ارهاق فقد عرض عليه سيمون ان يستريح قليلا .. وان يستلقى فى مؤخرة العربة وينال قسطا من الراحة

وحاول جراى الاعتراض ولكن سيمون قال له :

ـ حاول ان تنام قليلا وسوف يجلس فريدى الى جوارى لارشادى .. ولتطمئن الى اننا لن نقلل من سرعتنا ..

وكان سيمون حادقا فيما قال ، اذ انه ضاعف من سرعة العربة وهكذا وحلوا الى حافة الهنر قبل ان يخيم الظلام .. وما ان توقفت العزبة خلف بعض الاشجار العالية حتى قفز منها جراى وأخذ يوضح للقديس الحقائق :

ـ هناك فى هذا المكان المتعرج اقيمت القنطرة .
ووقف سيمون يتأمل المكان .. والذى كان لا يوحى بالاطمئنان .. فقد كانت الاشجار نفسها ذات طابع غير مشجع .. تتمدد جذورها كالثعابين فوق الارض .. وتقدم الرجلان صوب النهر .. وفجأة صاح بهما فريدى محذرا .. ومرقت ومرق رمح على مقربة منهما تلاه ثانى وثالث .. والقى القديس بنفسه على الارض زاحفا تجاه شجرة ضخمة وتبعه جراى وعندئذ قال جراى بيأس واضح :
ـ انهم ما زالوا هنا .. لقد آملت الا يكونوا هنا .. ومن يدرى فقد يكون احدهم فوق احدى الاشجار للمراقبة .
ولم يتفوه سيمون بكلمة بل اخذ يدرس الموقف .. واخذا ينصتان للاصوات الثائرة الصادرة من الجهة الاخرى ، فى حين قال جراى للقديس معترفا :
ـ يبدو انهم يريدون قتلى : نعم .. انا الذى عالجت العديد منهم .. وبذلت جهدى من أجل اصلاحهم .
وهب واقفا وما لبث فريدى الذى كان خلفه ان صاح به :
ـ حذار يا دكتور .. انهم كالفهود ..
ـ لو اننى استطعت التحدث اليهم ...
وقال له سيمون : ـ ارجو المعذرة يا دكتور .. ولكن اصدقاءك ليسو على استعداد كما ترى للاستماع الى محاضرة او حديث ..
ـ هل تمزح ايها القديس ؟
ـ انها من عاداتنا ...
وكان جراى مازال يفكر فى التحدث الى الزيكو ..

كانت هذه الفكرة تراوده .. ثم أخذت تلح عليه .. ثم قال القديس :

ـ انني على ثقة بأنهم سيكفون عما يفعلون .. خاصة وانني ملم بلغتهم ..

ـ وهل تفعل بذلك بواسطة الرماح ..

ـ لا .. لا .. انهم عندئذ سيوضحون لى السبب فيما يفعلون ...

وازاء الاصوات والصراخ من الناحية الاخرى للنهر .. قال القديس لجراى :

ـ ما الذى يجعلك تعتقد بأنهم سيعترفون لك تما نريد .

ـ لا أعرف .. ولكنى آمل ذلك .. وخاصة واننى لا اكف عن تذكر آن .

ـ تذكر مصيرها عندما يقتلك هؤلاء الزنوج .. واستدار الدكتور ناحيته وقال له :

ـ ان فرصتنا الوحيدة هى فى اقناعهم ... والا فكيف نعيد اليهم الصواب ؟

ونظر اليه بدهشة وقال له : كيف .. انتظر دقيقة وسترى .. وابتعد سيمون قليلا ولم يلبث ان عاد وبيده بندقية ..

ـ انها الطريقة المثلى للتفاهم مع هؤلاء الزيكو .. ولتأخذ برأيى .. فليس هناك اجدى من هذه الوسيلة .. وثق انك تستطيع بهذا السلاح أن تجعل فيلا ضخما هائجا الى كتلة ساكنة من اللحم .. وبالتالى فان الامر ينطبق على هؤلاء الزيكو .

وأمسك جراى بذراع سيمون وهو يقول له :

ـ لا .. يامستر تمبلار .. لن اسمح لك بأى

حال استعمال هذا السلاح .. فعندما رضيت بالعمل في موكولو كنت أعلم بالمخاطر التى قد تحدق بى ، ورغم هذا فلم احمل سلاحا ..

ــ ولكنك مجنون يا صديقى الدكتور ..

لا .. اننى هنا فى هذه المنطقة من اجل علاج الزيكو واصلاحهم .. وليس لقتلهم بأى حال .. واذا بدا محالا ان تتقــدم فلن نفعل ولن نلجأ الى استعمال السلاح .

وتنهد سيمون وقال له :

ــ حسنا اذن ساكون مجنونا مثلك ..

وأعطى البندقية لفريدى ..

عندئذ امسك جراى بيده وقال له :

ــ اليس من الممكن ايجاد مخرج بطريقة جديدة يا قديس .. ؟

وسا الصمت قليلا .. وراح تملار يتأمل زميله .. وتنهد المغامر .. وقد علت وجهه اشراقه ..

ــ حسنا ايها الكتور .. انك الامر .. ولسوف اطيعك كما لو كنت قديسا .

ووقف جراى وقال لسيمون :

ــ اذا ما وقع لى مكروه فعليك بانقاذ زوجتى .. وعندئذ تستطيع ان تتصرف كما يحلو لك ..

وتقدم ناحية النهر بعيدا عن حماية الاشـــجار .

الفصل الثامن

تدارى فريدى خلف شجرة ضخمة متأملا ســـيده بطريقة تنم عن مدى تقديره للرجل ثم قال متمتما :

ــ ان الدكتور شجاع كالأسد .

ـ انك على صواب يا بنى ، وان كان الاسد لا يتوانى فى الدفاع عن نفسى .. واننى لاخشى ان .
ولم يكمل كلماته اذ ان الزنوج فى تلك اللحظة راحوا يتصايحون على الضفة الاخرى ، ثم انهالوا برماحهم تجاه الدكتور الامر الذى دفع سيمون لان يلقى بنفسه فوق الدكتور جراى ملقيا به على الارض جاذبا اياه الى حيث كانا .. وفى تلك اللحظة مرقت احدى الرماح قرب راس الدكتور وهى تصفر ... عندئذ قال له تمبلار :
ـ والآن . اتراك اقتنعت ايها الدكتور ؟ لقد اردت ان تخاطبهم وكدت تفقد حياتك ثمنا لذلك .. والآن ؟
وتمتم الرجل الذى كان منذ شهور يعمل على نشر تعاليم الانجيل بين القبيلة :
ـ اننى لا اكاد اصدق ما جرى .
وهز سيمون كتفيه .
ـ بل يجب ان تصـــدق .. انك تتصرف بطريقة مثلى لا يمكن بأى حال ان تؤدى للعبور الى الضفة الأخرى ..
وامسك به من ذراعه بشدة جاذبا اياه ناحية العربة وهناك قال للزنجى الشاب :
ـ عليك يا فريدى ان تراقبهم جيدا .. وذلك دون ان يروك .. ولو انك ابصرت بينهم برجل ابيض فعليك ان تنادى علينا .
وفى السيارة سأله جراى :
ـ اننى لا افهم ايها القديس .. ما الذى يجول براسك ؟
ـ اننى أفكر فيما تفكر فيه يا جون .. ان اعبر النهر ومعرفة سر ثورة الزيكو .. وان كنت أفكر فى

اتباع طريقة اقل خطورة ..
وأردف وهو يضحك :
ــ لتعلم يا صديقى بأن مثل هذه المناقشات لا تؤدى الى نتيجة .. فلو ان احد الخصمين قرر التقدم بأيد فارغة بينما غريمه ممسك بسلاحه لصار القتال غير متكافىء .
وقال له جراى : ــ اذن ؟
ــ اننى آمل تحطيم بعض رؤوسهم ، وبهذا يمكن اختيار الدواء الذى بحوزتهم .. وبهذه المناسبة هل تعتقد ان هذا الدواء يمكن اصلاح الجماجم اذا ما أصيبت ؟
وتمالك جراى نفسه وقال لسيمون :
ــ هل تمزح بينما زوجتى هنا سجينه .. وقد . ؟
ولم يتسن له أن يكمل جملته اذ ان سيمون استطرد يقول :
ــ اننى لا اتوقف عن التفكير فيها .. ولهذا فاننى اعتبرك مقصرا تجاها بطريقة تفكيرك .. ولهذا فاننى انتهز هذه الفرصة واحدثك على انفراد ورأيى ان اردت فان لك ان تتمسك بمبادئك امام فريدى وان تترك لى حرية العمل وفق ما يحلو لى .. هل توافق ؟
ــ ابدأ ايها القديس .. اننى على استعداد لتحمل كل شىء .. ما عدا ان ينتصر الشر امامى .
ــ هذا ما كنت اخشاه يا جون .. ولهذا رتبت امورى .. وطلبت اليك فى كانابا اجاء السفر حتى يمكننى الاستعداد .. ولذا فلا مناص لنا من التصرف عقب حلول الظلام ..
واخذ يتأمل خفاف النهر .. والحشائش التى

تكسوه الى ما لا نهاية ..

ــ على ايجاد المكان المناسب .. ولا داعى لان تتردد هذه المرة يا جون .. فليس امامنا سوى العثور على طريق مقابل للنهر .. والعمل على شق هذا الطريق مهما تكلف ذلك من جهد .. وما قد يكتنفه من مخاطر ..

ونظر الى الدكتور طويلا واضاف :

ــ ولا ننسى ان مصير زوجتك متوقف على ذلك .

ــ حسنا .. والافضل ان نصطحب معنا فريدى .

ولم يلبث فريدى ان قال لهما : ــ يوجد طريق غير بعيد من هنا ..

ــ الى اين يؤدى ؟ هل يقابل النهر ؟

ــ نعم .. وان كان غير جيد ..

وسار خلف فريدى ليجدا طريقا كان بناة القنطرة قد عملوا على شقة عند دراستهم لمكان اقامة القنطرة .. وراحت العربة تمضى ببطء حيث كانوا يضطرون للنزول منها لازاحة ما يعترضها من عوائق .. وبدا سيمون مشغولا بما يجول برأسه من خواطر عديدة .. ورغم هذا فلم يستسلم للأمور .. ويجعل فكرة السيدة الحزينة تحد من نشاطه .. واحس فى قرارة نفسه بأن النجاح سيكون حليفه .. واخيرا وجدوا انفسهم فى مكان منبسط وقال لهم فريدى :

ــ لقد كانت هناك نسبة على اقامة القنطرة هنا ولكنهم وجدوا الجانب الآخر لا يصلح لذلك ..

وكانت كثافة الحشائش على الجانب الاخر خير شاهد على ما قاله الزنجى .. وعندئذ قال سيمون

ــ هذا مكان رائع ..

وسأله جراى قبل ان يقفز من العربة :
ــ فيم تفكر ؟
ــ اننى افكر فى اقامة مشروع « للصوت والضوء » .. هذا كل ما هناك .. واظنها ستكون التجربة الاولى فى هذه الادغال وان كان هذا لا يمنع ان تحاول انت ذلك فيما بعد .

وعلى التو اخذ القديس يحمل بعض الصناديق الصغيرة من العربة .. ثم قام بغرس وتد بالارض علق به .. عدة قذائف .. وما ان ادرك الزنجى ما يقوم به الرجل الذى شعر بالارتياح له حتى راح يساعده .. فيما يقوم به .. وبدوره اخذ جراى يساعدهم ... وبعد قليل كانوا قد اعدوا صفا طويلا من الصواريخ النارية ..

عندئذ قال الدكتور معلنا :
ــ حسنا .. هذا يتعلق بالضوء وماذا عن الصوت
وهنا اسرع سيمون ناحية العربة ، وعاد حاملا معه بطارية كهربائية ومكبرا صوتيا .. وقام بوضعها فى اماكنها وامامها اسطوانة ..

ثم قال : ــ هل انتم مستعدون للتجربة .. ؟
ثم قال لفريدى ضاحكا : ــ اظنك تعرف تشغيل هذا الجهاز يا بنى ؟
ــ نعم .. اننى ملم بذلك ..
ودهش جراى مما يرى حوله حتى انه قال لسيمون :
ــ ترى .. اهى طريقتك لتعلن للغابة انك تنوى عبور النهر .. هلا ذكرت لى فائدة هدف الاشياء بالنسبة لنا ؟
ــ عليك ان تركن الى طريقتى حيث ان طريقتك لم

تجلب عليك سوى الرماح .. صبرا قليلا ثم نرحل وانت يا فريدى عليك بالبقاء هنا ..
— ستنتظر حتى يخيم الظلام تماما .. اما نحن
— حسنا ياسيدى القديس
فسنذهب حتى القنطرة .. ثم تسرع للحاق بنا .. هل يمكنك ذلك .. ؟
— بكل تأكيد ..
— حسنا .. عليك باشتعال هذا الفتيل قبل اللحاق بنا .. وكذا تشغيل الاسطوانة .. اتفقنا ؟
وضحك الزنجى معبرا بذلك عن سعادته لما سيقوم به من عمل ...
واستدار سيمون ناحية زميله وسأله :
— هل بدأت فى ادراك ما ارمى اليه ؟
— نعم .. نعم ..
ان الامر فى غاية البساطة .. عما قليل ترتفع هذه الصواريخ النارية الى السماء .. وهو ما سيغرى الزيكو بالتأكيد .. خاصة عندما يستمعون بآذانهم الى رقصة حروبهم ..
ودفع القديس بجراى امامه ..
— هيا بنا .. فليس امامنا دقيقة تضيع سدى ..
ولم ينتظر طويلا امام القنطرة المحطمة .. فلم تلبث الصواريخ النارية الزاهية الالوان ان اخذت ترتفع عاليا لتتساقط ثانية فوق الغابة الساكنة .. وقال معلقا على المشهد :
— لقد بدأ العرض .. يا له من مشهد رائع ..
ولم تلبث الموسيقى المنبعثة من الاسطوانة ان طوقت آذانهم عالية .. بعد ان قام الزنجى بتشغيل الجهاز بدقة وبتوفيق .

ــ رائع .. لقد احسنت بجعل الصوت عاليا ..
والآن .. يهمنى الا يتأخر رفيقنا كثيرا ..

وغادر المكان الذى كانا يختبئان فيه ، وقد وضع على ظهره حبلا طويلا .. وعلى حافة النهر استمع الامواج الهادرة .. وسمعه جراى يضحك .. ويقول :

ــ لا أظن السقوط فى الماء امرا ظريفا ..

وهناك على بعد ميل منهما كانت تنبعث الموسيقى وتتساقط الالعاب النارية .. وهو ما جذب انتباه الزيكو واثار فزعهم فى الوقت ذاته ..

ومال القديس : ــ انهم سيذهبون ناحية مصدر الصوت ..

ــ هل تعتقد انهم سيفعلون ؟

ــ آمل ذلك ... والا تبدو مشروعى بين هذه الامواج .

ــ ولو انهم لم يذهبوا .. او تركوا بعض الحراس هنا ..

ــ علينا اذن اللجوء للمخاطرة .. وهذا ما أعتدت عليه دوما .. بل ان سبيلى فى هذه الحياة .. اننى لا اشعر باللذة فى الحياة الا بتعرضها للهالك .

ووقف ساكنا لا يتحرك متخيلا ما قد يفعله غيره فى هذا الموقف .. ثم قال بصوت خافت :

ــ لحسن الحظ ان هؤلاء الزيكو لا يستخدمون الاسلحة النارية .. والا كانت الامور قد تغيرت ..

واستدار ناحية زميله محاولا تحديد مكانه والذى كان يدل عليه وجهه الابيض :

ــ هل تعتقد انهم كانوا يهاجمون مقر البعثة لو كانوا لا يملكون سوى الحراب والسهام ؟

ــلا بكل تأكيد .. ولو انهم يمتلكون اسلحة لكانت هذه بحوزة الزعماء فقط .. وما مهاجمينا الا نقطة امامية على ما يبدو .

ــ والآن .. لنر ان كانت الحركة الوهمية قد اجتذبت هؤلاء الزيكو ؟

وامسك القديس بالحبل فى يده اليسرى وكان بنهاية كلاب (مخطاف) ، وسأله جراى بدهشة :

ــ اترى الالقاء به الى الناحية الاخرى ؟

ــ تماما ولئن كان الامر صعبا فى الصباح تحت اعين الزيكو فالفرصة مواتية الان لذلك ..

وراح سيمون يدور بالحبل فى الهواء ، ثم القى به بقوة عبر النهر لينغرس فى جذع شجرة ضخمة ، وما ان تأكد سيمون من نجاح هدفه حتى اخذ يجذبه بقوة ناحيته .. وفى تلك اللحظة كان فريدى قد عاد بعد اداء مهمته بتوفيق .. وقال لهما لاهثا :

ــ ان الامر هناك رائع ..

وبلهفة قال له القديس :

ــ هيا .. احضر لنا من العربة كل ما نحتاجه للوصول الى مقر البعثة : وذلك من اسلحة وذخائر وكل الضروريات .. هيا اسرع .

وفى تلك الاثناء قام بتثبيت الحبل الى شجرة قريبة

ــ هل يسير كل شىء على ما يرام يا سيدى ؟

وعندئذ سأله فريدى بلهفة :

ثم بدا فى احضار بعض الصناديق الصغيرة ..

ــ نعم .. يا صغيرى .. واننى لاهنئك لما أظهرت من مهارة .. والان .. سوف تشاهدنى وقد أصبحت بهلوانا ..

ولم يترك له سيمون الوقت ليكمل .. فقد كان

يود الاسراع بالعبور .. ولدا فقد عمل على تثبيت بكرة بالحبل لجذبها خلفه .. ثم امسك بكلتا يديه بالحبل المشدود ملقيا بنفسه فوق النهر .. ولم يتمكن جراى من الامساك به .. وهناك على الضفة الاخرى كان الزيكو ومازالوا يتأملون الصواريخ النارية ..

ــ انك مجنون ايها القديس ..

ورد عليه الاخير وهو يبتعــد بقوله : ــ انها وسيلتى فى الحياة ..

واردف يقول : ــ اذا ما هوى به الحبل فعليك باعادة الكرة .. فربما تنجح فى تأدية ما فشلت فيه

واخذ القديس يقترب من الحافة الاخرى .. واذا بيده تتخاذل عن الامساك بالحبل .. ولكنه لا يلبث ان يتمالك نفسه ويعود للتعليق بيديه بالحبــل ... وعندئذ يدرك بأن يتعين عليه مستقبلا ان يتعلم من العاملين بالسيرك كيفية المحافظة على التوازن .. والان .. لقــد بات قريبا من الحافة الاخرى .. ولتعمل ايها الملاك الحارس على حمايته .. وكذا تأكيد تثبيت الخطاف الذى تعلق به حياة القديس .. وها هى الحافة تزداد قربا من سيمون .. ولكن الحبل يتراخى .. اتراه يفشل وقد كاد يصل ؟ .. وخاصة وان ذلك الضجيج الذى تسببه الصواريخ النارية يؤثر على المرء ، وخاصة عندما يتعين عليه الاحتفاظ بكامل قواه .. ومن يدرى فقد يكون هناك بعض الزيكو فى انتظاره وعندئذ يفتكون به .. ولامس الحافة .. وظل واقفا لدقيقة وقد لزم الجمود .. مستجمعا قواه .. ومن الناحية الاخرى سمع من يناديه .. ورد عليهما بقوله : ــ

ـ كل شيء على ما يرام .. اعملا على وضع بكرة الذهاب والاياب ..

وحاول سيمون ان يتخيل ما تخفيه هذه الغابة الكثيفة من مفاجآت ـ وقال مناديا ملاكه الحارس « عليك ان تظل الى جوارى .. وان تعمل على ابعاد الزيكو عنا طوال الرحلة » .

ونظرا الى الالعاب النارية وهو يتأمل ان تظل لأطول وقت ممكن .

ـ هيا .. اسرع يا دكتور .. فليس امامنا الكثير من الوقت ..

ـ حسنا .. سأبعث بفريدى ..

وامسك الزنجى بالبكرة وقد ربط الى خصره صندوق صغير ومضى يعبر ببطء ولكن بنجاح ..

ولم يلبث الشاب ان نزل على الضفة المقابلة ومن ثم تنهد بعمق :

ـ لقد شعرت بالخوف يا سيدى القديس ..

ونادى سيمون على جراى قائلا :

ـ والان .. ياجون .. اربط الاسلحة والذخائر .. وبعد ذلك يأتى دورك .. هيا .. اسرع

وأبصر القديس بالشحنة تتقدم ناحيته : وكانت تشتمل على بندقيتين وحقيبة وطرد صغير . . وأحس بالضيق . . اذ يبدو أن جراى يريد نقل كل ما فى العربة .. ولذا فقد صاح به :

ـ والآن جاء دورك .. أسرع .. فقد كاد العرض ينتهى ..

وكاد الحبل ان يتهاوى واسرع القديس يناشد ملاكه بقوله « عليك أن تساعده . . انه رجل طيب

وان كان يحترم هؤلاء المتوحشين .. انقذه يا ملاكى فانه جدير بذلك .. »

ومضت اللحظات بطيئة .. ووجد جراى نفسه مع زميله . وامسك به سيمون وراح يحركه بعنف اذ يبدو ان الرجل قد خارت قواه فلم يعد متمالكا نفسه ..

وطلب سيمون ان يسرعوا فقد عاد الصمت يخيم فوق الغابة الكثيفة بعد ان انتهى العرض الذى كان قد أعده .. واتكأ جراى على شجرة وأخذ يتأمل سيمون وهو ينزع الخطاف ويواصل جذب الحبل حتى ينزعه من الجهة الأخرى ثم يلقى به وبالخطاف الى قاع النهر .. الأمر الذى جعل جراى يقول له :

ـــ هل فقدت صوابك ؟

ـــ كلا .. اننى أدرك بأننا بهذا نقطع على أنفسنا طريق العودة .. ولكن علينا ألا نترك وراءنا اثرا يدل على عبورنا لكيلا يركب الزيكو رؤوسهم ويسعون خلفنا .. ولتدرك بأنهم سيحاولون معرفة أسباب ذلك العرض الذى جرى .. وقد يعتقدون بأننا مازلنا هنا .. والآن .. هيا .. بنا ..

وشرعوا يجتازون الطريق الى موكولو .. وقد حمل كل منهم طردا فوق كتفه .. وأمسك فريدى بسيف لازالة ما قد يعترضهم من أعشاب أو للقضاء على ما يصادفهم من ثعابين .. بينما حمل سيمون وجراى البنادق .. وقال القديس مناشدا زميله :

ـــ اننى أناشدك بكل عزيز لديك أن تكون البادىء باستعمال هذا السلاح .

وكان القمر ساطعا .. الامر الذى جعل الطريق واضحا .. وهنا قال جراى :

ـ ان هذا سيوفر علينا الكثير من الجهد ..

الا أن سيمون عارضه بقوله : ـ ولكن لا تنس اننا بذلك نكون عرضة لان يرانا احد .

ونظرا لان السكون كان مطبقا عليهم .. فقد توقفوا قليلا ، وما لبث فريدى ان الصق اذنه بالارض ثم هب واقفا ليعلن لهما بأن الصدى يدل على ابتعاد الزيكو عن مكانهم .

وهنا اشار سيمون بأن يواصلوا السير بعيدا عن الطريق تفاديا لآية مفاجآت . .

وهكذا اتجهوا الى قلب الغابة الصامتة التى أطبقت عليهم بين جوانبها .

الفصل التاسع

لم تكن الأحداث قد سارت كما كان بوجان وشريكه يتوقعان .. فما أن علم الاول بأمر اكتشاف الدكتور جراى حتى راح الارباح التى تنجم عن تصنيعه .. ولذا فقد قرر على التو العمل على ابعاد الدكتور جراى من طريقه والسعى للحصول على الدواء من الزيكو ، ولو اضطر لتسليح القبيلة المتوحشة ، ثم العمل على اعداده بطريقة تجارية تعود عليه بالثروة .. ولدهشته لاحظ تردد الزيكو فى اطلاعه على سر الدواء .. ورغم قبولهم للبنادق التى أهداها أياهم فقد راحوا يزجون اليه الوعود دون أن يتخذوا قرارا فيما يتعلق بتعريفه بالدواء الذى حضر اليه ساعيا .. ولذا فقد قال بوجان لزميله معترفا :

ـ ان الامور تسير ببطء يا ديدى .. واننى أود

فى أحيان كثيرة تمزيق هذا الساحر اللعين لأنه يسخر منا بهذه الطريقة .

ـــ هكذا حذرتك قبلا ، فانه يصعب الاتفاق مع الزيكو لأنهم سرعان ما يغيرون رأيهم بعد مضى ساعة من الاتفاق على أمر ما .. وليس هذا كل ما هناك .. فقد يتناسوا الهدايا التى قدمناها لهم وينقلبوا علينا لأى سبب واه .

ـــ حسنا .. لا داعى للتحسر .. فقد وعد رانجا بأن تكون الليلة حاسمة فى محادثاتنا واننى لاثق به .. ولو أنه تراجع فى موقفه لجعلته يندم على ذلك .

وضحك الرجل قليلا ثم قال موضحا بصوت مرتفع :

ـــ عما قليل سيعرف العالم كله من هو موريس بوجان البحث الشهير مكتشف الدواء المعجزة ..

واستلقى الرجل على المقعد الوثير وراح يتخيل ما يخبئه له المستقبل من امجاد .. وقد اصبح يمتلك مصنعا كبيرا لانتاج الدواء .. وما سيترتب على ذلك من دعاية وشهرة . ويزداد الانتاج وبالتالى تنمو ثروته .. وهكذا كان يحلم .. نعم .. سيكون شخصا مرموقا يحترمه الجميع تماما كما هى الحال بالنسبة للعلماء الذين قاموا بتادية خدمات جليلة للانسانية .. كما حدث بالنسبة لفلمنج ..

وأدرك بأنه محظوظ الطالع لان الظروف قد مهدت له الطريق للثروة دون جهد كبير .. ورغم هذا فقد كانت هناك بعض الصعاب تعترض طريقه .. وليبدا فى هذا الحال بالدكتور جراى ..

وعندئذ نادى ديدى وسأله :

ـــ هل يمكن الاعتماد على محازى رائجا لمنع جراى من العبور ؟

ـ بلا انى شك ..
ـ لعلك تذكر انه فى فيروبى وخلال المؤتمر الطبى كان قد اشار الى ما يربطه بهم من صلات وطيدة ..
ـ يحتمل .. ولكن يكفى ان يتملك الزيكو البنادق لتغيير نظراتهم .. ولا تنسى ان جراى كان قد حاول تغيير حياتهم ولذا فقد لاقت فكرة محاربته استجابة قوية .. لديهم .. ولعله لا يحاول عبور النهر وماظنه بفاعل .. ولو انه جازف بحيـــاته فلسوف يقومون بالفتك به ..
ـ حسنا .. حسنا .. ورغم هذا فاننى قلق فيما يتعلق بزوجته ..
وتساءل ديدى فى دهشة ـ لماذا ؟
ـ لانها تبدو هادئة اكثر مما يجب ..
ـ ذلك لانها خشيت على نفسها من هذا المسدس .. ولا تنسى بأننا السادة هنا بالاضافة الى ان الغابة الكثيفة المحيطة بالقرية لا تشـــجعها على التخطيط للهرب .. ثم انها تكتفى بالصلاة طالبة من الله عودة جراى .. هذا كل ما هناك ..
ـ اننى اخشى ان تكون هى ولوك بصدد التآمـــر ضدنا .. ولو انها فعلت لما اثار ذلك دهشتى ... ولهذا فعليك ان تتسلل نـــاحية البيت وتنصت الى ما يقولان ..
وكيف كان بوجان وزميله ان تصـــورا بأن هناك شـــخصا يدعى سيمون تمبلار قام باعداد عرض الصوت والضوء بهدف ابعاد الزيكو عن الطريق ومن ثم عبور النهر ؟ ..
وتسلل ديدي ناحية البيت والتصق بالنافذة محاولا

التقاط كلمات آن .. التى كانت مشغولة بالاعمال المنزلية وسمعها تقول بصوت خافت : — اننى سعيدة لوجودك معى يالوك فى مواجهة الرجلين ..

وهز ديدى رأسه وهو يلمس من صوت المرأة عن ما تحمله لهما من شعور غير طيب

— ولكن هل يدوم ذلك طويلا ...

— وماذا تستطعين يا سيدتى ازاء ذلك ؟

— اننى كما ترى لا احرك ساكنا .. فى حين يراودنى الاحساس بأن الدكتور بصدد محاولة العودة

وتوقفت عن الكلام ، واقترب ديدى من النافذة حتى يتسنى له الاستماع بدقة لما تقول

وعندئذ قال لها لوك : — ان لدى فكرة يا سيدتى

وسألته بلهفة : ما هى ؟ ..

وازداد ديدى التصاقا بالنافذة لكيلا تفلت منه كلمة

— انك تثقين بى .. أليس كذلك ؟ .. خاصة وانني ادين لكما بالكثير ..

وكان لوك يتحدث بترد وكأنه يحاول اقناعها بما سيقول . وادرك ديدى بأن الزنجى الذى كان يتحدث بطلاقة على درجة عالية من الزكاء .. واردف لوك يقول :

— افترضى اننى اختفيت ..

لا .. لا تفعل

— لا تتصورى باننى افكر فى الهرب يا سيدتى ..

وعادت تتمتم : — ماذا تعنى بالاختفاء ؟ .. وماذا يحدث لى عندما اجد نفسى وحيدة مع هذين المجرمين .. ان هذا يجعلنى اجن ..

وابتسم ديدى .. واخذ يردد كلمة . « اجن . نعم .. يالها من فكرة صائبة .. فبعد الخلاص من

جراى على ايدى الزيكو .. تجن زوجته .. حسنا .. حسنا .. »

وعاد لوك يشرح ما يجول بخاطره :

ــ اننى اعنى أن اختفى لتحذير الدكتور فى حالة وصوله فجأة لكيلا يهاجمه الرجلان بغتة ..

وسألته السيدة جراى : ــ هل تظنه بخاطر بحياته من اجلى ..

ولم يدرى لوك بما يجيب عليهـــا ولذا فقد طأطأ براسه ..

ــ لم اكن اريد ابلاغك .. فقد علمت من بعض الاهالى بأن القنطرة قد دمرت .. وهذا ما كان يعنيه بوجان عندما تحدث عن منع الدكتور من العودة ..

ــ يا الهى ..

وتهالكت ــ اذ كانت تعتقد ان غياب زوجها مجرد تأخير ولا شىء غير ذلك .. واستطرد لوك قائلا : سأذهب الى هناك . لاننى على ثقة بأن الدكتور لن يعدم وســـيلة للعبور .. وفى حالة وجودى هناك فسيمكننى عندئذ مد يد العون له .. وكذا سأبلغه بما جرى هنا ..

ــ حسنا يا لوك .. شكرا .. هيا اذهب .. وعن نفسى فسأكون متحاملة .

وفوجئت آن بصـــوت يقول : ــ يالها من فـــكرة رائعة ..

واستدارت ناحية النافذة لترى ديدى امامها وقـــد شهر مسدسه .. واضاف قائلا :

ــ ياله من حوار مثير .. يا سيدة جراى .. انه لامر محزن ان يحدث ذلك ونحن نثق بك .. لقد اعتقدنا بأنك تفهمت موقفنا ، وانك لن تعمل على مضايقتنا ،

واذا بى افاجئك تتآمرين مع هذا القرد ضدنا .. ولذا فيجب عرض الامر على الدكـــتور بوجان .. هيا ..

ولم يكن هناك ما يمكن عمله ازاء المسدس الذى يتهددهما .. ولذا فقد سارت آن ولوك حتى وقفا امام الدكتور بوجان الذى لم يكن قد غادر مكانه .. وعندئذ قال له ديدى موضحا :

ـــ لقد فآجأتهما يتامرآن .. وعن لوك فقد كان يعرض عليها ان يهرب لمساعدة جراى ..

وتـــاءل بوجان : ـــ هل هذا صحيح .. هكذا تردن الينا المعروف ياسيدة جراى .. اننى خجل مما فعلت واستدار ناحية ديدى ليقول له :

ـــ اننى سعيد بك يا ديدى .. لانك رجل مخلص

عندئذ صاحت آن : ـــ كفى ..

وقال لها بوجان : ـــ كيف ... تجـــرؤين على مقاطعتى .. ؟

ـــ نعم كفى .. كفى هذا الكلام المعسول وأنت الذى يخفى النوايا الشريرة .. هل كنت تأمل ان ننسى زوجى .. لتعلم انك مازلت فى بيتى .. نعم فى دارى ...

وبدا ان بوجان لم يتأثر بما قالت اذ انه هز كتفيه .. وقال لها :

ـــ واما عن خيانتك فلا داعى للتحدث عنها ... فانه ينقصها الكثير من اللياقة .. ولتعلمى جيدا بأننى لم احضر الى هنا بناء على دعوة زوجك او دعوتك .. ولذا فلا داعى لان تحاولا مضايقتنا .. اليس هذا صحيحا يا ديدى ..

ما الذى تعنى يا بوجان ؟

وامسك الرجل بالكوب الذى امامه واخذ يمرره امام عينيه .. ولم يلبث ان قال :

ــ كلما تمعنت فى أقوالك يا سيدتى .. كلما لاحظت ما بها من ثقة ..

وسألته بغضب : ــ عن اى ثقة تتحدث ؟

ــ عن عودة زوجك .. رغم اننى لا اتوقع ان يتم ذلك .. والا قد اعددت المنزل لاستقباله ..

وكانت قد مضت ساعتان على توغل سيمون ورفاقه فى الغابة .. يتقدم الجماعة فريد . يليه جراى ثم سيمون الذى فضل ان يكون فى المؤخرة وذلك لامكان مجابهة الزيكو فى حالة مهاجمتهم .. وسأله سيمون

ــ أظننا نقترب من مقر البعثة ..

وقال الدكتور جراى : ــ ــ اننا على مسافة ميل او اثنين منها .. ولو لم يكن معنا فريدى لضللنا الطريق ..

ثم استدار ناحية الزنجى ليسأله :

ــ هل انت على يقين من انه الطريق الصحيح ؟ .

ورد عليه الزنجى بقوله :

ــ اننا على وشك الوصول الى هدفنا ..

وبعد نصف ميل من السير .. توقف الدكتور على حين غرة واتجه الى سيمون ليقول له :

ــ اننى افكر فيما كان ينتظرنا هناك ..

واقترح سيمون ان يستريحوا قليلا اذ خشى ان يؤدى ما يعانى منه جراى من ارهاق الى حماقات لا تحمد عقباها .

ــ لا .. لا .. علينا ان نسرع ..

وعاودوا السير وسط اعشاب تعلو قامتهم ..

وتعجب سيمون لمهارة فريدى الذى كان يهتدى الى الطريق المناسب لعبور هذه الاحراش .. ولم يتسنى لسيمون ان يفكر كثيرا فى هذه المسألة اذ احس بثقل يصطدم بكتفه ثم ما لبث ان ادرك انه فهد القى به ارضا وبدافع غريزى اطبق تمبلار على الحيوان المفترس ضاغطا على رقبته .. وتنبه جراى وأسرع شاهرا سلاحه ولكن سيمون صاح به :

ــ لا تطلق النار .. لا تفعل ..

واما فريدى فقد القى بالصندوق الذى كان يحمله مشجعا سيده على اطلاق النار :

واخذ جراى يحرك البندقية تجاه الفريسة محاولا النيل منها ولكنه كان يخشى اصابة سيمون الذى صاح به ثانية يأمره بالا يطلق النار ..

وبدأ الدم يسيل على ذراعي سيمون .. ورغم هذا فقد ظل ماسكا بقواه ، رقبة الفهد .. وقد احس بثقل الحيوان الجاثم فوقه .. وتسللت يد القديس اليمنى تجاه حزان واستل خنجره الحاد واغمده فى قلب الفهد الذى اطلق صيحة عالية . وعندئذ هوى عليــه فريدى هو الاخر بضربة من سيفه عجلت بمصرعه .. وهب سيمون واقفا وتطلع الى جثــة الفهد وهو يقول :

ــ ارجو المعذرة ايها القط .. ما كان بودى ان يحدث ذلك ...

وكان يتنفس بصعوبة واستدار ناحية الدكــــتور جراى .. الذى ابتدره قائلا :

ــ لماذا طلبت الى الا اطلق النار ؟

وقال له القديس مازحا : ــ حتى لا تقتل كائنا حيا

ولعدم لفت انتباه الزيكو الى وجودنا .. والان .. وتأمل ذراعه الجريح .. والذى كانت الدماء تسيل منه بغزارة .. واكتافه التى امتلأت بالجروح ..

ـ اظنها مناسبة طيبة اليس كذلك يا جــراى ..

ـ من اجل ماذا ؟

ـ لتجربة الدواء .. ولنر ما اذا كانت الجروح حقا ستندمل بعد مضى اثنتى عشرة ساعة .

واسرع جراى باخراج الدواء من الصندوق ... معرضا جروح سيمون له .. محاولا اعادة البشرة الممزقة الى مكانها ثم قام بوضع اربطة فوقها .. وابدى تمبلار ملاحظة بقوله .

ـ ان هذا الدواء يجعل المرء يشعر بالارتياح عند وضعه يا دكتور جراى ...

ـ ان حالتك غير مرضية يا سيمون ..

ـ حســـنا .. ولكنى اشير عليك فى حالة انتاج الدواء باضافة بعض الروائح اليه .. والان ... هيا بنا ..

وقاطعه جراى : ـ الا تحب ان ..

ـ لا .. لا تهتم بى .. ان ملاكى الحارس يتولى امورى .. كل ما هناك اننى نادم لأن اترك هذا .. وبحافة قدمه لمس جثة الفهد ..

ـ لقد حضرت الى كانايا بهدف القنص .. وها هى فريستى الاولى اتركها نهبة للحشرات

وتقدم سيمون الجماعة .. والالم يجعل قواه تخور . لقد قاتل قبل ذلك الكثيرين من البشر ولم ينتابه ما احس به من شعور مباغت كالذى نزل به عنـــدما انقض عليه الفهد ولذا قال للدكتور جراى :

ـــ انه احساس كنت اجهله .. ولم يبق الا ان اصارع المتمساح ..

وهنا قال فريدى منبها : ـــ لقد بات المنزل قريبا .

واضاف جراى : ـــ هذا صحيح لقد بدأت اتعرف على المكان .. اننا على مسافة مئات قليلة من الامتار منه .. ان مقر البعثة يقع خلف هذه الغابة الصغيره .

وعلق سيمون بقوله : ـــ ان الهـــدوء يخيم على المكان ..

وتنهد الدكتور جراى قائلا :

ـــ ولكنه هدوء مفرط فيه ..

الفصل العاشر •

كانت مبانى مقر البعثة ترتفع صامته وسط ظلام الغابة التى كان يكسوها ضـــوء القمر الخافت ، وابصروا بنافذتين يشع منهما الضوء وبباب مفتوح . يؤدى الى مكان خاو .. وتخلص جراى من قبضة سيمون الذى كان يمسك به خشية المفاجآت واسرع تجاه الشرفة مناديا :

ـــ آن ..

وكاد ان يلقى بنفسه الى الغرفة الا ان القديس امسك به .. وقال له :

ـــ تماسك يا جون .. لا داعى لهذه الحماقات ..

ـــ الا تدرك ان .. ؟

ـــ بل افهم الكثير .. واننى وبما لدى من خبرة فى هذا المجال اعاود تحذيرك .. ان رائحة الكمائن تفوح هنا .. ولتعلم بأن الذى يعد هذا الكمين ليس

الزيكو بل هناك من يدفعهم لذلك .. وعلينا ان نتفادى ذلك الكمين بقدر الاستطاعة ..

ودفع بالدكتور جانبا ودخل الى المكان ..

ورغم ما كان يشعر به من الم فى ذراعه الا انه أمسك بندقيته بشدة ..

وتفحص المكان وابصر بمائدة معدة لاربعة افراد . وعندئذ قال جراى ..

ـ لا أحد هنا ..

ولم يحول القديس دخوله الى المكان .. واخذ جراى يدور حول نفسه .. وفتح باب داخلى وهو ينادى على زوجته دون مجيب .. واستدار تجاه القديس وقد علاه الخوف وتمتم :

ـ اننى لا أفهم معنى ذلك .. اين تراها ؟ ولماذا غادرت البيت ؟

واضاف سيمون : ـ وفى الليل .. والا ما كانت المصابيح مضاءة ..

وتقدم القديس ناحية المائدة وقال معلقا وهو ينظر اليها :

ـ كان هناك اربعة اشخاص يتناولون الطعام .. ما عدا زوجتك التى كانت ..

وهز جراى رأسه ..

ـ لقد كانت آن بمفردها هنا .. ومعها خادم يقيم على مقربة منا ..

ـ رجل أبيض ؟

ـ لا .. لقد حدثتك عنه انه لوك ساندجا .. انه زنجى متعلم .. فى طريقه للحصول على درجات علمية متقدمة ..

ـ اتثق به ؟

ـــ كلية ..

ـــ أتراه متواطئا مع الزيكو ؟

ـــ لا .. انه يضحى بنفسه من اجلنا اذا ما اتيح له ذلك ..

وفى تلك اللحظة اذا بفريدى يدخل اليهما مسرعا بعد ما تفحص الدار والعيادة الخارجية وهو يقول :

ـــ ان المكان خال ..

ولم يتحرك القديس من مكانه وعاد يسأل :

ـــ هل كان لوك يتناول الطعام معكم ؟

ـــ بطبيعة الحال ..

ـــ اذن هذا يفسر وجود الاطباق لاربعة أفراد .. من اذن الاثنان الاخران .. لو اننا عرفنا ذلك لازحنا الستار عن هذا اللغز .

وكان سيمون ممسكا بسكين فى يده .. وهو يحاول ايجاد تعليل أو تفسير لما امامه ..

ـــ لو ان الغرباء تركوا اثرا خلفهم لعرفنا هويتهم ونظرا لانهم لم يفعلوا فهذا يدل على أنهم اعداء ... وليسوا اصدقاء ...

عندئذ تمتم جراى منهارا : ـــ يا زوجتى المسكينة

واخذ القديس يهزه بشدة حتى لا يفقد وعيه ثم قال له :

ـــ تمالك نفسك يا عزيزى .. وكما ترى فاننا لانجد اثرا هنا .. او حتى ما يدل على استعمال العنف ..

ـــ وما الذى يهم ؟ اننى افكر فى آن .. التى تتعرض لمخاطر الغابة .. واظنك لست ذلك بنفسك

فى تلك الاثناء كان فريدى مازال يبحث رافعا الستائر باحثا منقبا فى الاركان ـــ وفجأة اطلق صيحة .. اذ وجد اسفل الشرفة شخصا يئن .. وتعرف

عليه جراى على التو وصاح : ـ لوك ! ..

واسرع اليه الدكتور محاولا مساعدته .. بينما اسرع القديس الى الخارج مستعدا لاطلاق النار على شبح قد يتراءى امامه .. ولكن الصمت كان يلف المكان ..

ونادى عليه الدكتور .. ليقول له بأنه يسترد حواسه ..

واستند لوك الى ذراع الدكتور وحاول الجلوس ونظر الى سيده متألما وقال له :

ـ لقد حاولت بقدر ما استطيع .. وذلك للقبض عليهما ، ولكننى ضربت ووقعت على الارض ..

ـ والسيدة جراى ؟

وبأسى قال لوك : ـ لقد رحلت .. لم تكن تريد .. وقاومت .. ولكن كيف التصدى لهما وهما مسلحان .. وقد ذهبا عند الساحر الكبير .

واستند سيمون الى الباب .. محاولا العودة بذاكرته الى تلك اللحظة التى سعى فيها اليه جراى .. محاولا ايجاد المخرج الملائم لما يجرى امامه .. وهنا قال مشيرا على جراى :

ـ دعه يجلس واعطه بعض الماء .. وليرو لنا تفاصيل ما وقع هنا .. مع مراعاة ادق الامور .. واحس لوك بالارتياح تجاه محدثه .. وهز راسه ثم قال :

ـ سأحاول قدر استطاعتى ...

وعا ليعذر لجراى قائلا : ـ اقسم لك بأننى حاولت قدر استطاعتى .. ولكنهما كانا على استعداد حتى لقتل من يقف فى طريقهما ..

ـ والآن حدثنا عنهما يا لوك ..

وبدا لوك يروى ما جرى منذ وصول بوجان وزميله وكيف انهما ادعيا انهما ينقبان عن المعادن ..

ـ لقد كانت السيدة جراى فى استقبالهما ... واعت لهما غرفة المسافرين .. وفى تلك الليلة ذاتها فوجئت برؤيتهما يبيعان اسلحة لاحد الزيكو ..

وروى كيف ظل فى اثرهما وكيف صارح للسيدة بما رآه ...

ـ ولقد اشرت عليها بالتزام الصمت حتى عودتك يا دكــتور .. ولكنها رفضت وذهبت لطردهما ، ولكنها بدلا من مغادرة المكان قاما بأسرنا .

وتحسس بيــده المكان الذى ضربه عليــه ديدى بمسدسه وأردف يقول : ـ

ـ كنت أرغب فى الفرار .. والذهاب الى القنطرة .. لابلاغك .. اذ كان يتعين اجراء تصرف ما ... اليس كذلك .. ومما يؤسف له ..

ونظر الى الدكتور والقديس وأضاف :

ـ كان أحد الرجلين ويدعى (ديدى) يتسمع علينا ولقد استمع الى بينما كنت اتحدث مع آن .. ومن ثم انهالوا على ضربا تاركين اياى معتقدين بموتى .

ـ وزوجتى ؟

ـ كانا سيأخذانها معهما على ما أظن .. عند الساحر الكبير ..

وهناك سأل تمبلار مستفسرا : ـ ومن يكون هذا الرجل ؟

وقال له جراى موضحا .. وقد بدا شاحبا :

ـ انه مامبا .. اذن فهما يقصدان مامبا .. وعلى كل ما اظنهما بملاقين اياه ..

وقاطعه لوك بقوله : ــ لا .. فقد تحدثا مع رانجا وكذا مع ساحره .. واعطاياه أسلحة وذخائر ... ولقد طلبوا منه المزيد منها .. ولهذا فانني اعتقد بأنهما سيقابلان مامبا .. انني على ثقة من ذلك ..

وهب جراى واقفا .. وقد اتخذ قرارا .. واعلن لسيمون : بأنه راحل .

ــ والى اين ؟

ــ انني اعرف مامبا .. فقد ذهبت اليه مرة .. واعرف كيفية مخاطبته .. وهذا الساحر الكبير يستمع ولا يتكلم الا قليلا وحوله العديد من اتباعه .. ولهذا فانني لن اسمح بأن تذهب عزيزتى آن الى حيث يوجد هؤلاء المتوحشون .. ان أشارة واحدة من مامبا كفيلة بانهاء حياتها .

وهدأ القديس من روعه :

ــ لا داعى للتسرع .. ارجوا ان تصدقنى يا جون .. انني اولا اريد الكشف عن هوية الشخصين ولا شك انهما دمرا القنطرة .. والان يا لوك انني انصت اليك ..

ــ ان احداهما يدعى ديدى .. وهو يفوه به الزيكو ويعمل مرشدا ..

وقال الكتور جراى : مرددا الاسم الذى تفوه به لوك :

ــ نعم .. لقد سمعت بهذا الاسم .. خاصة وقد ارتبط بحادثه .. اذ يقال أنه كان يرافق جماعة ثم اذا به يهرب منها .. وهذا ما دفع بالسلطات الى سحب ترخيص عمله ..

ــ والرجل الثانى .. ؟

ــ كان يطلق على نفسه اسم بوجان .. ولكن

ديدى كان فى الكثير من الاحيان يناديه بلقب الدكتور بوجان .. الامر الذى كان يضايقه ..

ورجع الدكتور جراى بذاكرته الى الوراء .. الى فترة انعقاد المؤتمر ..وتذكر أنه كان بين الحاضرين معه يدعو الدكتور بوجان ، وقد سخر عندما سمع بنبأ الدواء الذى كان جراى قد اعلن عنه ..

وتمتم القديس : ـ حسنا .. ان الامور تتضح .

وسأله جراى : ـ هل ارحل اذن ؟

وبعد أن هز القديس رأسه .. وضع يده بحنان ظاهر على كتف الدكتور وقال له :

ـ بل سنرحل سويا ..

ـ ولكنك مصاب يا سيمون ..

ـ وما فائدة دواء الزيكو اذا لم يكن جرحى قد شفى حتى الصباح ؟ .. اليس هذا هو الوقت الذى حددته للشفاء .. ؟

ـ نعم .. ولكن ..

ـ علينا اولا ان نستريح قليلا .. ولا تنسى اننا لم نسترح منذ الامس .. واننى ارى ان الرحيل دون راحة ضرب من الجنون ..

وصاح جراى : ـ وفى تلك الاثناء تكون زوجتى بين ايدى هؤلاء المجرمين .. انها معهما .. .. فى سبيلها لقوم متوحشين .

وقاطعه سيمون بقوله : ـ ما هذا الذى تقوله ؟ انها كلمات ستندم عليها فيما بعد .. الم تعمل على اصلاح الزيكو ؟ لتعلم بأن بوجان يغط الان فى نوم عميق فى معسكر لابد وانه اقامه حتى يشرق الصباح ذلك ان القديس كان يتمتع بحاسة خفية تمكنه

من معرفة ما يجرى بعيدا عنه .. بل لقد لقبه البعض بأنه روبين هود العصر الحديث .. ولقد كان بوجان لحظة أن أشار سيمون على جراى بأن ينالوا قسطاً من الراحة قد اشعل نارا لابعاد الحيوانات .. بينما جلست آن بعيدة عنه .. وراودت آن فكرة الفرار ولكنها لم تكن تعرف الطريق . . اذ كانت قد وضعت فى العربة .. وبعد ان قطعوا مسافة لحق بهم بعض الزنوج الذين كانوا فى انتظارهم ... ولاحظت آن أن هناك كوخا منخفضا على مقربة منهم وقفت العربة بالقرب منه .. وعندئذ اقترب منها بوجان قائلا :

ــ بعد قليل نعود بك الى البيت .

كانا قد قطعا آلاف الأميال .. والآن .. ها هما ينتظران النهار .. ومال بوجان على زميله قائلا :

ــ فلننم ساعتين .. ولسوف أوقظك حين يأتى دورى .. فلا يجب أن تهرب السيدة ..

ــ وماذا لو هربت ؟ .. ان الحيوانات كفيلة بخلاصنا منها . .

ــ بل الأفضل أن نحتفظ بها فقد يطلب مامبا مبادلة ..

ــ وهكذا كان الفريقان مستسلمين للنوم .. وفى الجانب الآخر طلب سيمون من جراى أن يتناول بعض الأقراص المنومة لتساعده على الحصول على قسط وافر من الراحة .. وقبيل الفجر .. هب سيمون واقفا وأيقظ فريدى ليعد له القهوة ، وبعد ذلك خرج الرجال الاربعة ، وعندئذ مد لوك يده ناحية سيده وهو يقول له :

ـ اننى أريد هذه البندقية يا دكتور ..
ـ فليكن لك ما تريد :
وابتسم سيمون . اذ أدرك على التو ما يجول فى نفس لوك .. وأما الأخير فقد كان مستعدا لاستعمال السلاح عندما يدعو الأمر الى ذلك ، فى حين قد يجعل جراى نفسه هدفا .
ـ والآن .. هيا بنا ..
ولم يلبث فريدى أن أسرع يتقدمهم . . وما لبث ان صاح :
ـ هناك .. بعض آثار لعربة ..
وأشار جراى بقوله : ـ فلنعمل على تتبعها .. فلا جدال انهم ما زالوا قريبين منا .. ان هذا الطريق ينتهى أمام قرية رانجا ..
وفجأة توقف كمن تذكر أمرا ما :
ـ كيف حال جروحك أيها القديس ؟
ـ حسـنة .. وقد التأمت الجروح .. وزال الألم ..
وكذا قال لوك الذى كان الدكتور جراى قد عالجه بالدواء السحرى .
وهز سيمون رأسه وهو يقول :
ـ الآن أدركت أهداف بوجان : انه يسعى للحصول على الدواء وبالتالى يحقق ثروة كبيرة .. ..
وبدأت الشمس تسطع والرجال الأربعة يتقدمون صوب هدفهم .. وبدأ لوك متهالكا فى البداية ، ولكنه ما لبث أن استرد قواه .. ووجدوا أمامهم عربة أعدائهم وكانت قابعة أمام قرية مهجورة .. قام سكانها باخلائها خشية الزيكو .. فهكذا تتصرف القبائل الصغيرة

عندما يعلن الزيكو عليهم الحرب .. يهربون طلبا للنجاة ..

وطلب الدكتور جراى من فريدى أن يتفحص الآثار .. وشرع الزنجى الماهر فى أداء مهمته وأثناء قيامه بذلك اذا بالقديس يعلن بقوله :

ــ لقد كانوا هنا الليلة .. ونظرا لأن السير محال فى الظلام .. فهم ما زالوا على مقربة منا ..

ولم يلبث فريدى أن عثر على مكان مبيت بوجان ومن معه واشار الى حيث كانت النار ، والى البقعة التى تمدد فوقها بوجان ، ثم نظر الى جهة أخرى وبعد فحص طويل اشرق وجهه وهو يقول :

ــ هنا كانت السيدة راقدة ..

وأسرع جراى صوب المكان كما لو كان يريد احتضانه .. ولكنه ما لبث أن عاد ادراجه تجاه سيمون : ــ

ــ هل تراهم يريدون بها شرا ؟

وقال له القديس : ــ من يدرى ؟ لقد اخبرتنى بأن آن جميلة ، ومن يدرى فقد تفيدهم عند التفاوض مع الساحر الكبير ؟ ..

واحس جراى بوقع السوط نتيجة لهذه الكلمات .. الأمر الذى جعله يعتدل ويقول :

ــ علينا أن نلحق بهم مهما كان الثمن لانقاذ آن .

وقال له القديس مطمئنا :

ــ هذا ما كنت أفكر فيه .. والآن .. عليك يا فريدى أن تواصل ارشادنا .. عليك بالمضى ، فهكذا كانت تشجعنى جدتى عندما كنت آتى امرا منكرا .

الفصل الحادى عشر

ــ الأفضل لنا أن نواصل الطريق ..

وكان ديدى قد أيقظ بوجان بمجرد تغريد الطيور فوق أعالى الأشجار .. وتساند الرجل البدين وما لبث أن هب واقفا .. وقد انتفخت عيناه نتيجة النـوم العميق .. وعلى عجل استرد الرجل نشاطه وقفز ناحية الأسيرة .. وعلى النقيض من أعدائها لم تكن آن قد غمض لها جفن .. وابتدرت بوجان بنظرة تدل على الاحتقار .. وهى تقول له متسائلة :

ــ ماذا تريد منى بعد ما حدث ؟

ــ ان الأمر غاية فى البساطة .. اننا نريدك أن تعينينا .

ــ وأضاف ناصحا اياها :

ــ ولا داعى لاثارة المتاعب لئلا القى بك بين أيدى هؤلاء الزيكو ..

وكان هؤلاء يحيطون بهم وقد علا الوجوم وجوههم وهم يتأملون البيض الثلاثة .. الرجلين الغامضين اللذين عرضا امدادهم بالسلاح وتلك السـيدة التى كانت تعامل بالاحترام بالأمس والتى أصـبحت الآن رهينة أيديهم . ولمرات عديدة خلال الليـل ترددت بعض الصيحات عبر الغابة .. والتى لم تكن تثير أية انفعالات لدى الزيكو .. وان كانت كما أدرك بوجان أنها اشارات يتبادلونها وتعتبر ذات مغزى .. الأمر الذى جعله يخشى أن تكون النيـة مبيتة لدى الزيكو على الغدر بهم . وما كان هناك غير الشعور بالارتباك لو أنه أتيح لبوجان أن يدرك ما جرى على الحافة الأخرى النهر .. ولكن الرجل كان يجهل ذلك

ويركن كثيرا الى طالعه .. وما لبث أن أمر الذين يتبعونهم بواسطة ديدى بقوله :

ـ علينا أن نسرع أكثر من ذلك .. فلا اظننا سنتأخر أكثر مما فعلنا ..

واستأنفوا السير .. وقد راحت آن تمضى متهالكة .. لما تشعر به من ارهاق ومتعمدة العمل على تأخير أعدائها .. وفى تلك الأثناء اتجه ديدى ليحدث أحد رجال الزيكو الذى على ما يبدو كان زعيمهم .. وتوالت هزات رأس الزنجى ولم يلبث ديدى أن قال مترجما :

ـ انه يقول أن مامبا لا يستيقظ مبكرا .. وهو يحتاج لساعات طويلة من الراحة نظرا لكبر عمره .. وعلى ما يبدو أنه هو الذى سيحدد موعد مقابلتنا .

وقال بوجان مزمجرا : ـ هذا اللعين مامبا . . لقد بدأت أضيق به ذرعا .. ان مقابلته تبدو على ما أرى أصعب بكثير من ميعاد مع ملكة انجلترا ..

وعلق ديدى على كلام زميله بقوله :

ـ أظننى أخبرتك بأن الزيكو يعتقدون أنهم أفضل من بقية البشر .. ولهذا فهم يتعمدون تعقيد الأمور واحاطتها بقالب من الغموض حتى ترتفع مكانتهم فى نظر الغير ..

وقال بوجان متضايقا :

ـ اذن لنأمل أن يستيقظ مبكرا .. والا اضطررت للقيام باستعراض لبعض ما عندى ..

وهى الالعاب التى تحدث ضوضاء ترعج الآذان ..

وكانوا ما زالوا يواصلون الطريق عندما استرعى انتباههم صوت خلفهم .. واستعد الزيكو لأية مفاجآت شاهرين رماحهم ، بينما أسرع الرجلين

بتصويب أسلحتهما تجاه مصدر الصوت .. بينما داعب الأمل آن أن تكون النجدة قد سمعت اليها ..

ولم يكن القـــادم سوى زنجى عمـــلاق .. يولول بذراعيه لاجتذاب الانتباه .. وما أن صار أمامهم حتى أخـــذ يشرح ما عنـــده بسرعة متلاحقة . والأهالى من الزنوج ينصتون اليه باهتمام ظاهر .. وقد لاحت الدهشة على وجوههم مما يسمعون .. وكاد بوجان يفقد ما يتحلى به من صبر ، وطلب الى زميله أن يشرح له الأمر ..

وبدا ديدى واجما وانبعثت من بين شفتيه الكلمات التالية :

ــ انها أنباء سيئة يا دكتور . . لقد عبر جــراى النهر ..

وصاح بوجان : ــ محال ..

وأشرقت عينا آن .. بالأمل .. ولكن كيف تمكن من ذلك ؟

ــ اننى أجهـــل ذلك .. فقد كان القـــادم يحرس الطريق من أعلى شجرة وابصر برجل .. تعرف عليه على التو .. اذ كان الدكتور جراى ..

وبدت ملامح بوجان جامدة وهو يضيف :ــ تبا له ..

وكان القـــادم يشرح ما عنـــده وراح ديدى يترجم كلماته : ــ

ــ ولم يكن جراى وحده...فقد كان معه على مايبدو رجل أبيض اللون .. وهو مفتول العضلات ذو ملامح جامدة .. توحى بأنه غير عادى .. وله نظرات حادة نفاذة .

وتساءل بوجان : ــ ترى من هو الرفيق المصاحب

لجراى ؟ ان الذى يهمنى الآن ان أعرف ما يعملون ؟
ـ يبدو أنهم فى أثرنا .. فقد وصلوا حتى القرية.. ولا شك أنهم الآن يحاولون اللحاق بنا ..

واضاف ديدى : ـ والى جانب الرجلين يوجد اثنان من الزنوج ..

ـ اذن فهم اربعة رجال .

ولقى بنظرة غاضبة ناحية المراة ، وما لبث ان انقض عليها جاذبا اياها من ذراعها ..

ـ علينا هذه المرة أن نلعب بالورقة الأخيرة . . علينا أن نجعل السيدة تتقدم الركب برفقة بعض الزنوج .. وعما قليل نلحق بهم ..

وهذا ما تم تنفيذه .. وحاولت آن الدفاع عن نفسها قدر الاستطاعة .. ودون جدوى ..

وأخذت تصرخ طالبة أن تظل فى مكانها فى انتظار زوجها .. واضطر ديدى ازاء أصرارها الى الاشارة الى أحد الرجال الذى قام بضربها على مخها . . واضطرت مرغمة على السير .. بينما أخذ بوجان يفرك يديه مسرورا .. ولم يكن ما جرى سوى الخطوة

ـ فلتسألهم عن الطريقة المثلى لاغلاق الطريق فى وجه جراى ..

وبدأ الزنوج يتشاورون ولم يلبثوا أن شرعوا فى العمل .. هادفين الى تحويل الطريق بحيث يضل القادمين فى الغابة الشاسعة .. خاصة وانه كان يوجد على الطريق الجديد ـ كمين أعد للحيوانات المفترسة وبعد ذلك قام اثنان من الزنوج بالنزول بحذر الى الحفرة حيث كانت توجد بعض الرماح المغروسة ..

وقاما بوضع مادة لزجة فوق اطرافها .. وعلق ديدى على ما يرى بقوله :

ـ انه عمل رائع .. وعلينا فى حالة عدم معرفة الدواء السحرى ان نسأل عن طريقة اعداد هذا السم الزعاف .. الذى يجعل المرء يموت بعد خمس دقائق من وصوله الجسم ..

وشرع الاثنـــان فى الخروج من الحفـــرة محاولين الابتعاد عن الرماح المدببة خشية الاصابة ؛ بينما اخذ البعض يعيدون المكان الى ما كان عليه وذلك لخداع القادمين ..

وصفق بوجان وقال بسعادة : فائقة :

ـ انه عمل متقن .. انه لمن حسن الحظ أن يصادف المرء مثل هؤلاء القتلة .. انهم فى نيويورك يكونون ذوى شأن كبير .. والآن لنلحق بسيدتنا الجميلة . .

وضاعفوا من جهدهم للحاق بمن تقدموهم والذين يرافقون آن . . وتمتم يقول :

ـ انك على صواب يا ديدى .. ان أمامنا الكثير نتعلمه من الزيكو ... حقا أن هذا السم يكون ايضا مربحا عند انتاجه تجاريا .. ولهذا فعلينا أن نسألهم عنه بعد زيارة مامبا ..

وكان القلق مسيطرا على الرجلين ..

ـ وقال ديدى : ـ لقد أردت ابعاد جراى . . واقترحت القضاء عليه .. وكان عليك أن تدرك بأن نملة على قيد الحياة أخطر من أسد مقتول .

ـ هذا صحيح يا ديدى .. كان هذا عن جراى .. ولكن ترى من يكون الرجـــل الآخر .. ؟ وما الذى يريده ..

ـ من ؟ لا جدال أنه زميل لجراى ممن يعملون فى المنطقة سعى اليه جراى طالبا العون .. ورغم أن المسافات شاسـعة الى أن العربات كفيلة بتقريب الأماكن .. وبالتالى ما كان ليصعب على الدكتور جراى طلب النجدة .. لعبور النهر ..

ـ اننى لا أشعر بالارتياح لما تتصور ..

وهبت آن واقفة عند اقتراب الرجلين .. حتى أن الزنوج الحارسين لها أسرعوا بشهر رماحهم ناحيتها ولكنها لم تعبأ بذلك .. وقالت تخاطب القادمين :

ـ ترى .. ماذا فعلتما ؟

وكالحيوان الثائر الذى يواجـه الأعداء أخذت آن تنهال عليها بما عندها :

ـ انه يحلو لكما جلب الدمار لهذه المنطقة بامداد الزيكو بالسلاح .. والآن .. تريدان الشر بزوجى .. ولأى سبب ؟ رغم انه ظل يعمل بتفان من أجل خير هؤلاء الأهالى ..

وقال لها بوجان محاولا اعادة الهدوء اليها : ـ

ـ هدئى من روعك يا مسز جراى .. ان الشتائم لا تجدى معى .. اننا نسعى الى مسـاعدة زوجك والتخفيف عليه مما يحمل من أعباء كثيرة ـ وابتسم قليلا وعاد يكمل ـ شريطة الا تثقل علينا هذه الأعباء بحيث لا نتحملها .

وصاحت به السيدة الشابة :

ـ أيها الكاذب .. اننى أتحـداك أن تعمـل على تحقيق ما تدعى .. ورغم أننى لم أعرف بعد الهدف الحقيقى لكما الا أننى خجلة منكما لكونكما من الجنس الأبيض .. ولتنتظرا حتى يلحق بنا جون وعندئذ ..

وقاطعها بوجان بقوله : ـ الا ترين يا سيدتى بأنه

لا داع للتحدث عن زوجك طالما لم يحضر بعد الينا ..
وردت عليه بغضب : — لماذا ؟ اتراك قتلته ؟
— لا .. كل ما هنالك اننى عملت على تأخير لحاقه بنا ..

ونظرت اليه بفزع .. واعتراها خوف لم تشعر به قبلا جعل اطرافها باردة .. وفى تلك اللحظة تطرق اليها صوت يتردد عبر الغابة .. وراح الزنوج ينصتون ويتداولون فى الأمر ، ولم يلبث ان قال ديدى مترجما ما يجرى ..
— يبدو اننا على وشك أن نتلقى افادة من مامبا ..
واشرقت ملامح بوجان وهو يقول :
— الساحر الكبير ؟ .. أظنك تعرفين الصلاة .. اذن أسرعى بأدائها .. ولو أننا وفقنا فى مهمتنا فستكونين فى بيتك الليلة على أكثر تقدير ، وعندئذ نتركك وشأنك ونوصل الى مكان بعيد ..

واسرع القديس ورفاقه الخطى يتقدمهم فريدى .. وقد امسك بالسيف فى يده .. ومن آن لآخر ينحنى لدراسة الطريق .. ملاحظا ما به من تغييرات قد تتمثل فى أوراق مهشمة ومتساقطة ..
وبخبرة الصياد قال لمن معه :
— انهم ليسوا بعيدين عنا ..
وأردف يقول : — ان معهم الكثيرين ..
وحاول أن يكتشف عددهم ولكنه لم يوفق فى مسعاه ..
وسأله جراى متلهفا :
— وهل يصطحبون السيدة معهم ؟
وتردد فريدى .. وعاود النظر الى آثار الأقدام ..
وهز كتفيه قائلا :

ـ لا يمكننى أن اجزم بذلك فى هذا الأمر ..

وعندئذ صاح جراى : ـ لنسرع اذن .. ولو أنها ليست معهم فلنعرف على الأقل أين عملوا على اخفائها ..

وكان فريدى ما زال مشغولا بدراسة الآثار ، المسطرة على الطريق .. واخيرا امسك براسه وقد بدا حائرا :

ـ ان هناك طريقين ..

ـ وسأل جراى فزعا : ـ ماذا قلت ؟

ـ لقد سلك القوم طريقين فى آن واحد ..

واقترح الدكتور جراى عليهم أن يفترقا .. فيسلك القديس أحد الطريقين بينما يقطع هو الآخر ..

واعترض القديس بقوله : ـ محال أن نفترق .. فبذلك تذوب قوانا .. لقد أعدوا لنا كمينا .. ولا داعى لأن نقع فيه ..

ـ ربما كنت على صواب .. هلا اخبرتنى بالطريق الذى سلكته الجماعة الأكثر عددا يا فريدى .

وأشار الزنجى الى طريق يشق الغابة ..

ـ حاول ان ترى عما اذا كان هناك اثرا لأحذية وفى هذه الحالة نتأكد من وجود بوجان ..

وأكد لهم الزنجى ما يراودهم .. وعندئذ أسرع جراى تجاه القديس وهو يقول له :

ـ اننى لا أهتم بما سلكوه من طريق .. فانهم الآن ذاهبون الى مامبا .. وذلك فى محاولة للحصول على سر الدواء منه .. ثم قال بصوت خافت .. هذا اذا ما استطاع ذلك .. فلنسرع ..

وياله من تصرف غريب من فريدى .. فبعد أن كان واثقا مما يرى .. عاد ليتفحص التربة جيدا ..

ــ انك تضيع الوقت سدى ..
وقال الزنجى معترضا على هذا الاتهام :
ــ لا .. فاننى اشك فى الأمر ..
وغضب الدكتور وصاح وقد استبد به الغضب :
ــ اذا ما كنت تخشى التقدم فاننى على استعداد لأن أتولى مكانك .

وامسك به محاولا جذبه وتقدمه .. ولكن فريدى أفلت من يده .. ولم تلبث الأرض أن ابتلعته بين طياتها .. وأطلق صيحة طويلة .. وأمسك الكمين بالضحية .. وان كانت غير ما كان يأمل .. بوجان ..

وكاد الدكتور بوجان أن يقفز خلفه ولكن القديس امسك به بشدة .. وابعده عن المكان ..

وهو يصيح : ــ ضحية واحدة ..

وراح لوك ينظر من حافة الحفرة .. وهز رأسه وهو يقول :
ــ ليس هناك أدنى امل .. ان هــذا النوع من الكمائن لا يرحم .. الضحية ..

وعقب جراى بذهول : ــ هذا محال .. لقــد سقط المسكين لحظة أن دفعت به .. ان دواء مامبا كفيل بانقاذه .

وتبادل ســيمون ولوك النظرات ... وما لبث لوك ان قال :
ــ سأنزل اليه للنظر فيما يمكن عمله ..
وقال له سيمون عذرا : ــ كن متنبها ..

واخرج لوك الحبل الذى كان مثبتا بحقيبته . . وانسل الى الحفرة .. وبعد لحظات رفع رأسه ليعلن للرجلين بحزن :
ــ لقد مات .. اننى اعرف هذا النوع من السم ..

انه لا يرحم ابدا ..

وتمتم الدكتور : ـ اغفرلى يا آلهى .. لقد نسيت دون أن أدرى فى قتل هذا المسكين البرىء ..

واسرعوا بحوارة الجثة فى التراب فى قبر اعد على عجل .. وكاد جراى يتهاوى .. ودفع به القديس قائلا :

ـ ان البكاء لا يجدى .. لقد كان مجرد حادث .. وعن نفسي فانها ليست المرة الأولى التى يتسنى لى مشاهدة مثل هذا الحادث .. ولقد كان ممكنا ان يكون احدنا الضحية .. أنت .. أو لوك أو ربما انا ..

ـ انت .. هل تعتقد ذلك ؟

ـ بل على ثقة منه .. بقدر ثقتى بأنه يتعين علينا الاسراع للامساك بالمجرمين .

وارتعد جراى .. ـ اننى أفزع عندما أتذكر أن زوجتى معهم ..

واستدار القديس ناحية لوك وسأله :

ـ ايمكنك ارشادنا خلال الطريق ؟

ـ نعم .. خاصة وانى اعرف مكان مامبا ..

واردف جراى يضيف : ـ لقد ذهبنا اليه قبلا .. واننى أتصور أن بوجان يحتفظ بآن لعلها تؤثر على مامبا .

والقوا بنظرة وداع الى القبر الحديث الذى ما تلبث الحشائش أن تعلوه .. ومضوا يشقون الطريق يتقدمهم جراى .. الذى كان يتوقف ليستمع الأصداء المترددة عبر الغابة .. وقد باتوا قريبين من الهدف .. وفجأة قال لوك :

ـ اننى لست مطمئنا لهذا الطريق يا دكتور ..

ـ وماذا تريد أن نفعل ؟ ..

ـ اننى أتساءل عما اذا كان الزيكو قد ضاعفوا من الكمائن على طوال هذا الطريق .. ولعلك لا تكون قد نسيت السهام التى تنطلق على غير ميعاد .. او الشباك التى قد تتساقط علينا من أعلى .. هل نسيت أن ماامبا يقبع فى حماية قوية ..

ـ انك على صواب يا لوك .. وعلينا اذن ان ندور حول الربوة للوصول الى مقر الساحر دون التعرض لمزيد من المخاطر ..

وأحس جراى بأن يسترد قواه بقدر الاقتراب من هدفه .. حتى أنه نسى ميتة فريدى البشعة .. وقال محذرا القديس :

ـ لتعلم ، ايها القديس بأنه يتعين علينا عبور مناطق وعرة .. تقطن بها الثعابين السامة .. وان كنا بهذه الطريقة نتفادى الالتقاء بالزيكو ..

ـ الا تخشى ان نضل الطريق ؟

ـ لا .. فلقد مررت بهذا الطريق لمرات عديدة ..

وبدأ الطريق يتجه لاعلى .. ويزخر بالصخور الضخمة .. التى كان يتعين الالتفاف حولها .. او تسلقها مع مراعاة الا تمسك أيديهم بأحد الثعابين التى يمتلىء بها المكان .. وأبدى سيمون ملاحظة : ـ ياله من مكان رائع ..

ولم يكن القديس قد نقد ما يتمتع به من تفاؤل ومرح .. الامر الذى أدهش جراى حتى أنه قال له :

ـ لم اكن اتصورك غير عابىء بالمخاطر الى هذا الحد ؟

ـ ذلك لاننى أهوى المداعبات .. وسترى بنفسك كيف اداعب أصدقائك الزيكو ..

الفصل الثاني عشر

ادرك بوجان وزميله مشارف مقر مامبا يرافقهم من معهم من الزنوج ·· ولم يكن المكان غير عادى اذ كان الكهف يقع تحت صخور مرتفعة يوحى منظرها بأنها على وشك الانهيار والتساقط ·· وعلى جانبى المدخل كانت انياب فيل تزين المكان ·· الامر الذى كان يجعله شبيها بفاه حيوان مفترس ··

ووقف بوجان ساكنا يتأمل ما حوله ·· وقال محدثا زميله :

ـ تخيل لو أن هذا المدخل اغلق علينا ·.

وكان جليا أنه يعانى من قلق عنيف .. وهذا ماجعله يتصرف بقسوة مع السجينة التى بيده :

ـ لا تحاولى العبث بنا ·· والا قدمتك هدية لمامبا ·· حتى يلتهمك . ولتعلمى بأن من فى سنه يفضل الدجاجة الشابة ··

ولقد كان الرجل صادقا فيما يقوله ·· اذ أنه جاء ساعيا وراء اكتشاف الدواء السحرى ، مستعدا للتضحية بأى شىء غلى ثمنه ·· وقال سائلا زميله :

ـ فلتسأل الزيكو عن موعد دخولنا الى مامبا ·.

ونظر لان الزيكو كانوا قد تراجعوا حتى حافة الغابة ·· والتى كانت اشجارها تحمل ثمارا غريبة تتدلى منها متأرجحة فى الهواء ·· فقد اتجه ويدى ناحيتهم ولكنه لم يلبث ان قفز عائدا صوب بوجان ··

ــ هل رأيت .. انها جماجم بشرية ..

ـ نعم ·· ولقد أبصرت على التو بهيكل آدمى فوق

الاعشاب ·· واستدار ناحية السيدة جراى يسألها :

ـ ترى اهى بقايا مادب مامبا ؟ ··

وما لبث ان ضحك ·· ولم تعلق آن على ملاحظة الرجل ·· فقد كانت موزعة بين التفكير فىمصيرها وما قد يكون قد وقع لزوجها ·· واما بوجان فقد قال غاضبا زميله :

ـ لا داعى لان تسيطر علينا الهواجس .· وما أظن بعض العظام تحول دون سعينا للثروة ..

وتقدم ناحية الكهف ·· وتراجعت آن وأسرع يجذبها :

ـ هيا يا صغيرتى ·· اننى بحاجة اليك .· ولا داعى لان تحاولى الهرب والا أطلقت احدهم وراءك ·

وباشارة من بوجان اسرع ديدى بجوار آن ، وهكذا اصبحت المسكينة بين الاثنين ··

وبالتالى لم يكن امامها سوى التقدم فى حين تراجع الزيكو للوراء .·. اذ كان دخول الغرباء الى مقر ساحرهم حدثا جليلا ··

وتمتم بوجان : لا داعى للاهتمام بهم ··

وحاولت آن الخلاص من الرجلين دون جدوى ·· وهكذا وجدت نفسها تمضى عبر الممر الصخرى الذى كانت تظلله العظام .· وتفترش تربته كافة البقايا التى يتصورها المرء ..

وراحت تصرخ : أتركانى .. انى أرفض مساعدتكما .. لا تعتمدا على .. ابدا ..

وزمجر الرجلى : ـ يا الهى .. كم تضايقيني ؟ .. لا داعى لهذه الامور الصبيانية فاننى قد صممت على الفوز فى هذه الجولة مهما كلفنى ذلك ، وان اضطررت للنهب او

القتل .. اننى اسعى وراء الدواء الذى اكتشفه الزيكو .. واننى على استعداد لارتكاب كل شىء فى سبيل تحقيق هذا الهدف .. هل تسمعين أيتها الحمقاء ؟ ..
وارتعدت آن .. فقد ادركت انه جاد فيما يقوله .. كفيل بالخلاص مما يعوقه . وكان الممر قد أصبح ضيقا عن ذى قبل .. ووجدت آن نفسها بين الرجلين .. بوجان يجذبها وديدى يدفعها أمامه ... ونظرا للظلام الذى يسود المكان فلم تكن ترى ما يحيط بها ، وان احست بالعظام تحت قدميها . وتطرق اليهم صوت ضربات على الطبل .. وفجأة وجدوا انفسهم امام مامبا ..
ووجدوا انهم فى كهف يقع فى قلب الجبل يبدو كأنه لا نهاية له .. قد امتلا بالمشاعل . بينما جلس على الارض رجل تحيط بنصفه الاسفل بعض الملابس المهلهلة .. وقد واظب على دق الطبول التى كانت موضوعة امامه .. والتى كان يتردد صداها فى ارجاء الربوة ، وفى مؤخرة الكهف كانت بعض الاحجار قد رتبت بعناية خاصة وقد وضعت عليها فروة بعض الاسود والفهود . وعلى اليمين ابصروا برمح حاد تزينه جمجمة بشرية .. ومن هذه الزاوية راح الرجل الغريب العارى كلية .. الا من فروة تحيط بخصره يتأمل القادمين .. وقد تدلت من عنقه وحتى صدره العديد من الدوائر النحاسية والاسنان البشرية والخيوط الصوفية . وأما فوق رأسه فقد وضع قناعا من الخشب به بعض الفتحات .. المقابلة لعينيه وفمه .. يعلو ذلك عرف اسد .. حتى لقد خيل اليهم بأنه حيوان أقرب منه الى كائن بشرى . وأما بيده اليمنى فقد كان الرجل ممسكا بصولجانه المتمثل فى قطعة خشبية تنتهى على هيئة قبضة ..

وصاح ديدى : ــ يا للجمال .. علينا أن نركــع أمامه ..

وضحك بوجان بصوت خافت :

ــ علينا الاستفادة منه بقدر الامكان .. بل انه هو الذى يتعين عليه أن يركع لنا .. ولها فعلينا الا ننسى ان الزيكو فى الخارج وأنهم لن يرضوا بمكروه يصيب رئيسهم ..

وامسك بالاسيرة من ذراعها بشدة ودفعها امامه .. وهى تقاومه بدون جدوى .. وقال لها صائحا :

ــ أيعرفك .. اليس كذلك ؟

ــ لا .. لا ..

ــ بل انه يعرفك .. ربما لا يكون قد رآك بطريقة رسمية .. ولكنه مما لا شك فيه تسلل حتى مقـر البعثة .. اذ كيف يتسنى لك معرفته من وراء هذا القناع .. وأما عنه فهو لا يخطىء . اذ انه يعلم بأنك زوجة الدكتور جراى ..

وقال هامسا فى اذنها :

ــ والان جاء دورك يا سيدتى الجميلة ..

ــ ماذا تعنى ؟ وماذا تريد منى ؟

ــ أن تخاطبيه بكلماتك العذبة خاصة وأنك تعرفين العديد من كلماتهم ..

ــ لا داعى لان تعتمد على ..

ــ بل انى فاعل ذلك .. واننى لعلى ثقة بـأنا ستساعديننى .. هيا تكلمى يا آن ..

وارتعدت المرأة وهى تسمع بوجان ينطق باسمه خاصة وأنها كانت تقف أمامه مباشرة .. وعندها شعر بشىء معدنى فى ظهرها .. ثم قال لها مهددا :

ـ اذا ما تحركت كثيرا فانى سأكون مضطرا للضغط على ما بيدى ٠٠ وعندئذ يصل زوجك الدكتور جون ليجد عظامك مبعثرة فى الكهف .٠ أهذا ما تريدين ؟ ٠٠ لا ٠٠ أوف عليك أن تتكلمى ٠٠

ـ وماذا تريد منى أن أقول ؟

ـ أن تشرحى له الحقيقة وأن تخبريه أننا أصدقاء لزوجك .. واننا بناء على هذا السبب قد حضرنا لزيارته ٠٠

واحست بالمسدس يلتصق بطريقة اشد بظهرها .. وعندئذ قالت له :

ـ لا شك أنك تمزح يا دكتور ؟

ـ استمر ىولسوف تجدين ان كنت جادا أم مازحا ٠٠ والان هل تتكلمين أم لا ؟

وردت عليه قائلة ؟ ـ اننى موافقة ٠٠

وقال لها محذرا : ـ لا داعى للاكاذيب ٠٠ ولتذكرى بأن ديدى يتحدث لغتهم مثلك تماما ٠٠ وبالتالى فلسوف يدرك اذا ما حاولت خداعنا ٠٠

حسنا ٠٠ سأقوم بما تريد ٠.

ـ الان ٠. ولا داعى للايتان بأية اشارة أو حركة ٠٠ غير طبيعية والا قتلتك .. أو اكتفيت بكسر ذراعك مثلا ٠. والان ٠٠ هيا ٠٠

وبدأت آن تتحدث .. بينما كان مامبا ينظر الى الغرباء مذهولا ٠٠ وأشار ويدى لزميله بأن المتحدثة لا تخدعهم ٠. وقال بوجان معلقا على ما طرأ على الاسيرة بأن تعقل :

ـ حسنا ·· انها عاقلة ·· والان لتسأله عن الدواء السحر ى··

واستدارت آن ناحيته وقد استبدت بها الدهشة .· الامر الذى جعله يمسك بذراعها بشدة :

ـ لا داعى للتظاهر بالبلاهة ·· انك تدركين ماذا اقصد ··ان لد ىالرجل نوعا من الدواء يعمل على شفاء الجروح بسرعة فائقة . اننى اريد معرفة طريقة اعداد واذا ما كنت تجهلين أمر هذا الدواء فاننى على استعداد لاحداث اصابة بك وبالتالى تجربة الدواء ··

وهزت آن رأسها ·· وقالت مخاطبة بوجان :

ـ انك طبيب .· ولو أنك لم تعد تمارس المهنة أو تعالج المرضى فلا شك أنك تدرك المهمة الجليلة التى نؤديها أنا وزوجى ·· وبماذا يفيدك هذا الدواء ؟

ـ من يدرى ·· ربما أريده لصالح العالم كله ·· اذ انه من الظلم أن يملك الزيكو وحدهم مثل هذا الدواء .· والان هل تتكلمين أيتها اللعينة ؟ ··

ـ واذن فأنتتسعى لانتاجه تجاريا وبالتالى تحقيق الارباح الطائلة من وراء ذلك ·· ؟

ـ لا داعى لان تشغلى نفسك بمثل هذا الامر الذى يتعلق بى .. والآن خاطبى الرجل . واطلبى منه سر الدواء ·· ولا تنسى أن زوجك هو الذى أرسلنا ·· وأنه هو الذى أشار عليك باصطحابنا ·

وضغطت آن على أسنانها .· وتقدمت قليلا ·· الامر الذى جعل بوجان يضغط على ذراعها بوحشية وقد دفع بسلاحه الى ظهرها .. وبصوت خافت غاضب قال لها

ـ هل تودين أن ·· ؟

وبدأت الحديث ثانية ، وقد راح بوجان ينصت الى

تقول محاولا اكتشاف آية خيانة قد تنم عنها ملامحها ٠٠ ولكن ديدى أعاد اليه الطمأنينة ، وذكر له أنها تمضى فى الطريق السليم ٠٠ وأخيرا توقفت آن عن الكلام وران صمت رهيب فوق المكان ٠٠ وانتظر بوجان للحظات ولما نفذ صبره قال مخاطبا زميله ٠٠

ـ لماذا لا يتكلم هذا اللعين ؟ انه يلتزم الصمت كمالو كان قطعة من الحجر .٠

وتفوه ديدى ببعض كلمات بلغة الزيكو .. وفى تلك الاثناء استدار الرجل الذى كان يدق الطبول متأملا الحاضرين ماضيا فى أداء مهمته ٠٠ وهذا ما جعل جوبان يصيح :

ـ ليوقف الرجل هذه الضجة ؟

وتوقف الزنجى وقد بدأت ملامحه غاضبة .. وأحس ديدى بالقلق ٠. ولذا فقد همس فى أذن بوجان بقوله :

ـ كن حذرا ٠٠ أن الامور لا تسير بطريقة حسنةويبدو أنهم يعدون لنا مكيدة ٠٠

ـ كفى ٠٠ وأنت يا آن .٠ خاطبى مامبا ٠٠ وأخبريه بأننى فى انتظار رده واننى أريد معرفةسر الدواء ٠٠ واذكرى له كذلك بأننى أعطيت بعض الاسلحة لرانجا واننى على استعداد لتقديم المزيد منها .. وأما له فاننى سأقدم العديد من الاسرار السحرية .٠ وليعلم يةننى الاخر ساحر كبير ولقد عرف ذلك رانجا ورجال قريته ٠٠ والان ؟

وأطلق صيحة ٠٠ ماذا ؟

وكان مامبا قد هب واقفا وقد امسك بيده سيفا يعلوه الصدأ كان موضوعا فوق فودة الفهد التى تجاوره ٠٠ ورفع ذراعه بطريقة خاصة أقرب الى الإشارة الى الدلالة

على الشر . ولا شك أنه كان يخاطب الرجل الذى يدق يحرك ذراعيه كحركة الطاحونة ·· ناطقا بكلمات الطبول اذا لم يلبث الاخير أن هب واقفا ·· وقد أخذ كثيرة .·

وزمجر بوجان : ـ محال أن يحدث ذلك ·· هل تراه ··

وقاطعه ديدى مؤكدا :

ـ ان مامبا يرفض الاستماع الينا ويطلب الينا مغادرة المكان على التو ··

وصاح الرجل البدين وقد كاد يجن :

ـ وما السبب ؟ هل يعقل أن نقوم بهذه الخاطرة ونتقبل الفشل قرب نهاية المهمة ؟ ·.

وأشار آن قائلا بغضب :

ـ ربما كنت السبب فى ذلك ·· ؟

واعترضت على الاتهام فى الوقت الذى أيدها ديدى باشارة من رأسه :

ـ لقد كنت أراقبها .. ولتعلم بأنها لم تقم بأدنى محاولة ضدنا .· انه مامبا الذى انقلب علينا ولذا فليس أمامنا سوى الرحيل ، اذ أنه يصعب التغلب على هؤلاء القوم عندما يركبون رؤوسهم ·· وعلينا بالتالى أن نغادر المكان ··

ورد عليه بوجان معارضا بشدة : ـ أبدا .·

ـ لتعلم بأننا قد نموت اذا لم نفعل ··

ـ اذن فاننى أريد التأكد من ذلك بنفسى ·· اننى لم اتحمل كل مشاق الطريق لاتراجع أمام هذا الرجل الذى يخفى وجهه وراء قناع ··

ودفع بآن ناحية ديدى .. وهو يقول له :

ـ امسك بها جيدا ‥ وحاول ألا تهرب منك ‥ انني أقل منك ثقة فى أنها لم تكن السبب فيما جرى ‥

وأسرع خادم مامبا ناحية بوجان عندما رآه يتجه بيده ناحية الساحر الكبير ، ولكن بوجان هوى عليه بلكمة جعلته ينطرح أرضا دون حراك .. وعندئذ ضحك عاليا ‥

ـ هكذا أعامل من يعترض طريقى ‥ والان عليك أن تترجم كلماتى يا ديدى .. ولتخبر مامبا بأن عليه أن يمدنى بما أريد ولا أردتيه قتيلا ..

وكان شاهرا سلاحه تجاه مامبا وبدأ حادا فيما ينوى الاتيان به ‥

ـ وعليه ألا يعتمد كثيرا على دوائه فلن تكون لديه فرصة لذلك ‥

وتقدم صوب الساحر الكبير وقد بات مسدسه فى محاذاة صدر مامبا ‥ وقال ..

ـ عليه بأن يقرر ‥ ولسوف أقوم بالعد حتى ثلاثة ‥ والان .. واحد ‥ اثنين .

وصاح به ديدى مرتجفا :

ـ لا ‥ لا تطلق يا بوجان والا قضى علينا للابد ‥

ـ ماذا اتراك تخشى هذا العجوز .

ـ لا ‥ بل الذين فى الخارج ‥ فلو أنهم سمعوا الدوى لادركوا ما جرى وقضوا علينا ..

ـ سنعرف كيف ندافع عن أنفسنا ‥ أنسيت أن معنا أسلحة ؟ ‥

ـ ان ذلك لن يوقفهم .. ان قتل رئيسهم لهو بمثابة الحكم علينا بالموت ..

ووقف الساحر وأمسك بسيفه بيده متجها صوب المعتدين عليه فى عقر داره ‥ وحاولت آن التى

كان يمسك بها ديدى ان تتدخل قائلة لبوجان :
ـ تراجع عما تريد ٠ ٠ وانني أقسم لك بأن تنسى الا
أنا وزوجي ٠. ولن تقوم بالابلاغ عنك ٠٠ والان لنر
تاركين هؤلاء القوم وشأنهم ولتعلم أن مامبا لن يدل
بما تريد ولو أطلقت عليه النار

ـ ان لدى سبلا أخرى لاقناعه ٠٠ ويكفى أن نسوق بعض العذاب ليبدأ فى التحدث ٠٠

وبيده اليسرى أمسك بالسيدة من ذراعها وذلك بطري
جعلتها تتألم ٠٠

ـ لا داعى لمحاولة الفرار أيتها الحمقاء الصغيرة .
والان ٠٠ يا ديدى ٠٠ هيا ٠٠ لننزع القناع من على وج
الرجل ٠٠

وتقدم ديدى ناحية مامبا بخطوات متقاربة .. واتج
اليه ليهاجمه دون أن يحرك الرجل الممسك بانسي
ساكنا ٠٠ وأخذ ديدى يقترب منه ٠٠ وأخيرا ع
الساحر الكبير ليجلس الى مكانه ٠٠ وقد تخاذلت
الامر الذى جعل سيفه يسقط على الارض . وقد
هادئا ٠٠ وصاح بوجان بزميله : ماذا تنتظر ؟ ا
قناعه ٠٠ وذلك لتتمكن من التحدث معه ٠٠

وتقدم ديدى بخطوة جديدة ٠٠ وقد بدا وج
شاحبا ٠٠ تنم أفعاله عن فزع لا يقاوم ٠٠ وصا
بوجان ثائرا : اننى أنتظر ٠٠

ومد ديدى يده ٠٠ ولم يحرك مامبا ساكنا ليحول
ارتكاب الجريمة : ألا وهى الكشف عن وجهه أمام
من البيض ٠

وتشجع ديدى بعدما حثه بوجان وبكلتا يديه
القناع ٠

الفصل الثالث عشر

أدرك القديس وزميليه قمة الربوة ٠٠ ووقفوا لاهثين ٠٠ عندئذ قال جراى :

ـ ان الكهف الذى يقيم به مامبا يقع أسفل مكاننا ٠٠

وقال له القديس : أظنهم الان داخل الكهف ٠٠

واعترضه الدكتور بقوله : بل اعتقد أن بوجان وزميله هما اللذان دخلا وحدهما ٠٠ اذ أن الزنوج لا يجرؤون على دخول الكهف حيث يقيم الساحر ٠٠ فهو وحده الذى قرر الظهور أمامهم فى المناسبات الهامة ...

ـ أى أن الزيكو هم الذين أمام المدخل ٠٠ وهكذا كتشفوننا لو اننا ظهرنا امامهم .. ولتدعنى استطلع الامر ٠٠ ولتبق هنا مع لوك دون حراك ٠٠

وقال لجراى وقد علت وجهه ابتسامة رقيقة ٠٠

ـ هيا يا جون ٠٠ تكلم ٠٠ لقد شاهدت صديقنا فريدى وهو يقضى نحبه ٠٠ ولتتذكر اذن زوجتك الموجودة الان بين أيدى المجرمين ٠٠ اللذين قررا القيام بكل شىء لحصول على ما يريدان ٠٠

هل ترافقنى ؟

وهز جراى راسه .. واردف تمبلار يقول :

ـ الا زلت تريد عدم استخدام الاسلحة ؟

وهل تعتقد أننى أستخدمها ضد الرجلين ؟ ٠٠ لا ٠٠ لا تعتمد على فى هذا المجال ٠٠

ـ حسنا .. لنترك هذا الامر .. ولكن ..

وأشار اليها الا يتحركا من مكانهما ٠٠ وألا يقوما بأية حركة تدل على مكانها ، وراح يزحف ناحية هدفه .. فقال له جراى محذرا :

ـ خذ حذرك ·· فان قطعة من الحجر تتهاوى كفيلة بجذب انتباه الزيكو الينا ·· ومن ثم ينهالون علينا بالسهام السامة ··

ـ ليطمئن قلبك ·· فان أمامك من يمكن الركون اليه ··

ولمعت الابتسامة على وجهه الاسمر ·· ولم يحل ذلك دون قيامه باسترجاع ملاحظته .. فتذكر بان احد سهام الزيكو كفيل بأن يجعله غير جدير بالاعتماد عليه .. وأخذ القديس ينتقل بخفة وكأنه فهد يتجه الى هدف يسعى اليه ·· وأخيرا أدرك المكان الذى كان يسعى اليه ·· ومنه تطلع الى المدخل ليجد أمامه جماعة من الزنوج . تتناقش بحدة ·· وأنظارهم معلقة بالمدخل ·· وقد صلوا الرماح والسهام ·· وارتد سيمون الى رفاقه ·· وسأله لوك بلهفة عما وجد ·· وقال له القديس :

ـ يبدو أن اصدقاءنا الان لدى مامبا . وهناك حوالى عشرين من الحراس يقفون فى حراسة مدخل الكهف ··

وتمتم جراى :

ـ وماذا عن آن ؟

ـ لا أثر لها هناك ·· ربما تركوها فى المؤخرة ··

ولم يصدق جراى ما يسمع ·· وقال بحسرة العاشق

ـ لقد أخذوها معهما وهى الان داخل الكهف ·· يا للمسكينة آن ..

ولم يهىء له القديس الفرصة للمضى فى التحسر . اذ كان الوقت مقتضيا للعمل ·· وبدأ يعرض ما يجول برأسه :

ـ ان الذى يهمنا هو أبعاد الزيكو ··

وسأله لوك : وكيف يتسنى ذلك لنا ؟

وقال له سيمون مطمئنا : بفضل بعض الاساليب الموجودة بهذه الحقيبة ··

وابتسم القديس وهو يتذكر حديثه الاول مع الدكتور جراى فى كانابا ·· ولذا فقد استفسر وأعد خطة عمله على أساس أنه سيواجه قبائل بدائية يزعجها ويثير مخاوفها كل أمر غير عادى ·· وهكذا أتاح له مشهد الصوت والضوء الذى أعده على حافة النهر فرصة العبور ومعه رفاقه .. واذن فلا مناص من اللجوء الى لعبة جديدة لاخراجهم مما هم فيه من مأزق ··

وكان لوك يتأمله باعجاب واضح ·· مأخوذا بما يقوم به القديس ·· وقال الاخير شارحا للدكتور جــراى ولرفيقه ··

ــ نظرا لاننا لا نريد النيل من الزيكو او احداث اية خسائر بينهم ، فاننا سنتركهم لك وقد راحوا فى حديث طويل ·· وان كان هذا يرتبط بأن نكون على ذكاء ودهاء كبيرين ·

وفرك جراى يديه وقال معتذرا :

ــ يجب أن أفهم ·· خاصة اذا ما كان الامر يتعلق بانقاذ آن ·· ولهذا ومن أجل استرجاع آن فعليك بعدم اللجوء للسلاح الا عند الاقتضاء ··

وجلس القديس القــرفصاء يتفحص محتــويات حقيبته ·· ورفع رأسه وتنهد بطريقة مرحة :

ــ واخيرا ·· ان الضوء كان دائما مثيرا ·· والان هل تسمح لى باستخدام البندقية السريعة ··

ــ بشرط وهو ألا تقتل أحدا وان اضطررت فيكفى أن نصيب ··

وأحس القديس بالضيق لكل هذه القيود التى تحد من نشاطه ·· وتذكر تلك المعارك العديدة التى خاضها ضد

أعداء ماكرين يهدفون الى القضاء عليه ومحوه من الوجود ‥ ولو أنه عمل على اختبار ذلك الطريق الذى ينادى به جراى لما كان اليوم فى هذا المكان يسعى لانقاذ زوجة ويدعو للتسامح والطيبة ‥

ـ ان زوجتى نفسها ما كانت لترضى بأن يتم انقاذها باهدار حياة بشرية ‥

وهنا قال له القديس : اذن فلتعلم يا صديقى اننى عندما اضطر لاستخدام السلاح فاننى أنما أفعل ذلك لانقاذ حياتى ‥ وعندئذ لن أفكر فيك أو فى زوجتك بل فى نفسى ، ولسوف يحلو لى التصرف كما فعلت عندما هاجمنى الفهد ‥ ولعلك تذكر ذلك جيدا ‥

وعاد الى حقيبة ليخرج منها « خرطوشين » ييغلفها ورق سميك ‥ وأخذ يتمعن فيهما بعناية ، ثم راح ينظر الى كل من جراى وزميله ‥ وكأنه يقيس تلك العناصر التى تساعد على تحقيق ما يريد ‥ وما أن قرر ما ينتوى عمله حتى قال :

ـ عليك ان تؤدى دورك جيدا يا جون ؟

وقال له بجدية : هيا استدر ‥

وسأله الاخر بدهشة : ولماذا ؟

ـ لاثبت لك هاتين القطعتين الباعثتين دخانا ‥ فوق ظهرك ‥ ثم ‥

وأخذ فى وضع الانبوبتين فوق كتفى جون الذى كان فاغرا فاه من الدهشة لما يجرى ‥

وأما لوك فقد كان يحدق فيما يحدث متتبعا بعناية فائقة كل شىء ‥

وأخيرا قال القديس : ـ الان قد أصبحت طائرا غريبا .. وعليك ان تتقدم كالسهم تجاه الزيكو .. وقد رفعت

ذراعيك وصارخا بأعلى ما عندك بطريقة تجعل الدماء تجمد فى عروقهم ·· هل فهمت ؟

ورد جراى على القديس وقد وجد نفسه منقادا لتحقيق ما يأمره به الرجل ·

ـ نعم ·· فهمت ·· ولكن ما هى حقيقة الامر ؟

وضحك القديس قليلا وما لبث أن أوضح له بقوله :

ـ ان الجهازين يحتويان على دخان ·· وليس أكثر من ذلك ·· وان كان الدخان أخضر اللون ·· وهذا ما يجعل الامر أكثر غرابة ··

ـ وأنت ·· أيها القديس ؟ ··

ـ سأظل ومعى لوك هنا وبأيدينا البنادق مستعدين لاحداث ضجيج ··

وعاد جراى يقول له ثانية : ـ على ألا تقتل أحدا ··

ـ حسنا ·· اننى أعدك ·· باحداث مجرد أصداء عالية ·· والان ·· لنبدأ ··

وأخرج من جيبه ثقابا واشعل الجهازين.. وعلى التو انبعثت دوامتان من الدخان الاخضر ·

ـ هيا اسرع يا جون ··



وظل بوجان مترقبا تلك اللحظة التى يرى خلالها وجه مامبا بعد أن نزع عنه ديذى القناع ·· وقد توقع أن يكون رجلا جامد التقاطيع .. تغطى وجهه الجروح .. وفوجىء بما رأى أمامه ·· كان مامبا كهلا ·· يبدو وكأنه يعانى سكرات الموت ·· ذا نظرات زائغة ··أسنانه متساقطة ·

واذن فهذا هو الساحر الكبير الذين يدين له الجميع بالتقدير ··

ولذا فقد قال غاضبا :

ـ أهذا ما كنت تخشاه يا ديدى ؟ ·· وأنت أيتها الصغيرة التى أرادت تخويفى ·· أظنك كنت تعريفينه ؟

ـ لا ·· أقسم لكَ بذلك ··

ـ هيا فلم أعد أصدق كلمة واحدة ··

ـ لقد كان زوجى تساوره الشكوك فيما يتعلق بأمره ·· وعلى كل فانه يسترد قواه فى بعض الاحيان ويبدو عندئذ انه يستدعى رانجا .. ولا شك ان زوجى كان فى زيارته عندما كان فى هذه الحالة ··

ـ حسنيا ·· اذا ما كان الامر كذلك ·· فاننا سنساعده ليتذكر ··

وتقدم صوب الرجل الذى تضاعفت رجفته ·· وكأن فقدان القناع الذى كان فوق رأسه قد جعله يفقد آخر ما عنده من ارادة ·· وجعل بوجان مسدسه يلامس الرجل المرتعش ··

ـ لعلك تدرك بأنه مسدس ··

وصاحت به آن : ـ انك مجنون ·· لن تحصل منه على شىء بتعذيبه ·· والله وحده يعلم ظروفه فى هـذا الوقت ··

ـ أنت نفسك قلت بأنه يسترد الاحساس فى بعض الاوقات ··

ـ ولكن ليس لدرجة ان يتذكر سر واء صنعه فيما مضى ·· وأما اليوم ··

ـ وأما اليوم ·· فانه سيطلعنا عليه ·· أسمعت يا مامبا ·· ولتعلم بأنى سأقتلك اذا لم تفعل · وسوف أعذبك بالحرق ·· وأخلع أظافرك ··

وصاحت به آن غاضبة ··
ـ انك تفقد صوابك ·· لا داعى للانكار ·· والا ··

ولم تكمل اذ أنهم أنصتوا الى صوت غريب صدر من خارج الكهف ·· وكأنه طائر ليلى يصيح ·· وتردد صداه بين أرجاء الكهف ··

وتمتم ديدى : ـ ما هذا ؟

وقال له بوجان مشجعا :

ـ لا داعى للخوف ·· ولربما تعمد الزيكو ذلك فى محاولة لاخراجنا من الكهف ··

وراح الصوت يتضاعف وتتزايد حدته حتى لكأنه يقترب من مدخل الكهف .. ولم يدر بخلد بوجان بأنه الدكتور بوجان الذى كان يطلق هذا الصياح ·· وكان الدكتور يقفز بخفة فوق الصخور متنقلا بينها متعمدا الصراخ لافزاع الزيكو ·· ولم يكن يفكر الا فى زوجته ·· ولما كان القديس قد اختار هذه الطريقة للعمل على انقاذ زوجته ·· واذن فقد كان يتعين عليه أداء الدور على أكمل وجه وذلك من أجل زوجته الحبيسة ··

وظل القديس قابعا ومعه لوك فى مكانهما وقد أمسكا بالاسلحة انتظارا للحظة التى يتعين عليهما التدخل لانقاذ جراى من خطر قد يحدق به ·· وفغر الزيكو أفواههم من الدهشة وهم يبصرون بهذا الكائن الغريب الذى نزل عليهم من أعلى رافعا ذراعيه ، مثيرا دخانا كثيفا ، صارخا بصوت مرتفع .. وبالتالى فقد استبد بهم الفزع ·· وحاول رئيس جماعة الزيكو أن يجمع شمل رجاله ولكنهم وازاء ما كان يرون لم يعودوا متمالكين جأشهم ·· عندئذ صاح سيمون فرحا :

ـ حسنا ‥ يا صديقى جون ‥ لقد أحسنت دورك جيدا ٠

ـ حقا ان الدكتور شجاع ٠

وهناك فى داخل الكهف زادت حدة ما يعانيه بوجان من قلق ‥ ولذا فقد كان أول من أسرع تجاه المخرج يتبعه ديدى ‥ وخلفهما كانت آن ‥ التى كانت بدورها تتساءل عما يجرى فى الخارج ‥ وأدركوا حافة الكهف ‥ حيث كان مامبا يلقى بالعظام البشرية لتخويف الزيكو وابصروا المكان خاليا وقد أسرع الزنوج الذين كانوا ينتظروهم فارين فى كل اتجاه وصاح ديدى : ـ انهم مجانين ‥

وكاد صوته يحتبس عندما أبصر بكائن يجرى والدخان يخرج من كتفيه ‥

ـ ما هذا ؟

ولم يكمل ‥ ولكن آن كانت قد لمحت الرجل واستطاعت التعرف عليه على التو ‥ ولذا فقد صاحت فرحة ، منادية باسم زوجها ‥ ولم يكن بمقدرته أن يسمعها ‥ وأدرك ديدى بأن جراى قد وقع فى الكمين الذى أعد له على الطريق وأن ما يرى ليس سوى شبحه ‥

وأما بوجان الذى كان نادرا ما يخطىء فقد زمجر بقوله :

ـ لا تكن غبيا ‥ وعلى كل فلن يلبث أن يكون كما نعتقد .

وابتسم بوجان وقد أدرك ما يهدف اليه جراى ‥ ولئن فزع الزيكو فما أظنه بفاعل مثلهم ‥ وصوب تجاه جراى

وقبل أن تنطلق الرصاصة تدخلت آن بأن دفعت بذراعه ·· ودوى الرنين وضاعت الرصاصة وسط الغابة ·· واستدار ديدى يتأمل ما يحدث حوله : الزيكو يسرعون بالفرار ·· وجراى يفاجئهم بالحضور واحتمال ظهور أعداء جدد ·· كل هذا جعل الرجل يشعر بالخطر المحدق

به ولذا فقد قال لزميله : ــ هيا ·· بنا ·· قبل فوات الاوان ··

ــ نهرب ؟ بتاتا ·· لنصلح الامر بدلا من الفرار ··

وأمسك بآن من عنقها وهو يهزها بعنف مجنون :

ــ سأعلمك أيتها الحمقاء ألا تتدخلى فيما لا يخصك ··

ــ لقد كنت أريد ألا يصاب زوجى ·· اننى أتوسل اليك أن ترحل ·· واننى أعدك بأنه لن يتقدم بأية شكوى ضدك ··

وتعلقت به لتحول بينه وبين اللحاق بزوجها ·· وحاول دون جدوى أن يدفعها عنه ··

ــ اتركينى أيتها المجنونة ·· فبعد خمس دقائق تكونين أرملة ··

واستطاع التخلص منها بكل ما عنده من قوة حتى أنها سقطت أرضا ·· عندئذ أمسك بها ديدى وقد وضع ذراعيها خلفها ضاغطا عليهما بشدة ··

وأطلق القديس الصيحة التى ينتظرها زميله :

ــ هيا ·· لنجدته يا لوك ·

الفصل الرابع عشر

أخذ الزيكو يلوذون بالفرار من كل جانب وقد تملكهم الفزع ·· وقد اعتقدوا بأن الذى يطاردهم هو شبح الدكتور جراى ·· ذلك الرجل الذى كانوا يحبونه والذى انقلبوا عليه على حين غرة الى حد اعداد كمين قاتل على طريقه ·· وها هو الان قد جاء لانزال العقاب بهم ، والا فما تفسير هذه المطاردة التى يقوم بها ساعيا وراءهم ·

وقال سيمون : ـ لقد حان الوقت ··

ودون التمسك بالحذر خشية أن يراه أحد قام من مكانه واتجه مسرعا ناحية الكهف ·· وتبعه لوك وقد أمسك بسلاحه ·· وراحا يقفزان ويجريان ·· وذلك للاستفادة من فزع الزيكو ·

وقال لوك للقديس : ـ اننى أخشى أن يتهور الدكتور وسط حرارة المطاردة ·

وفجأ طلب اليه القديس أن يتوارى خلف الصخور ، فقد رأى مشهدا مثيرا هو ذاته الذى أحضره الى هذا المكان ·· وذلك أنه أبصر على مدخل الكهف سيدة تتصارع محاولة الخلاص من قبضة رجل نحيف ·· وقال لوك موضحا للقديس : ـ انه ديدى ·· وتلك هى السيدة جراى ··

ورفع لوك بسلاحه محاولا النيل من الرجل النحيف ·· ولكن القديس حذره قائلا :

ـ حذار ·· فقد تصيب السيدة ··

وهناك على حافة الغابة كان رجل بدين يمسك بمسدس وقد أخذ يدور حول نفسه وكأنه يبحث عن شىء لا وجود

له .. ومالبث ان قال لزميله بعض الكلمات التى سمعها سيمون ولوك ..

ــ فلتمسك بها جيدا .. وهما قليل تشاهد شبح زوجها ..

وتوارى فى الغابة متعقبا الدكتور .. يدله على ذلك الدخان الذى ينبعث من ورائه .. وضحك بوجان .. وهو يقول لنفسه .. ان الاحمق يعتقد أنه على درجة عالية من الذكاء .. لسوف أعلمه ألا يتدخل فى أمورى .. ولتنتظر تلك المرأة التى عملت على انقاذه فبعد قليل تراه جثة هامدة .

وتذكر مامبا الرجل الكهل وأدرك انه سيكون من الصعب الحصول منه على الدواء .. وتوصل الى طريقة أخرى .. ليست بعسيرة على أى حال .. فلا شك أن هؤلاء الزيكو يمتلكون كمية كبيرة من الدواء ، فعليه ان يحصل على كمية منه ومعرفة تركيبها بالتحليل . ويبدو ان هذا ما فعله جراى والا فكيف تمكن من التحدث عن الدواء فى بيرونى .. ويكفى اعطاء الدواء لبعض الكيماوئين للعمل على تحليله ومن ثم انتاجه بوفرة وليمكنه تحقيق ذلك فلعل جراى لا يضايقه او تعوقه زوجته .

ولم يكن قد دار بخلد بوجان أن جراى نفسه قرر التخلص مما فوق كتفيه خشية أن يؤدى ذلك للكشف عن مكانه .. ثم الالتفاف للوصول الى مدخل الكهف .. ولم يلبث أن قام بتنفيذ ذلك .. وكانت آن فى هذه الاثناء تفكر عكس ذلك . اذ كانت تبغى اللحاق بزوجها . ولذا فقد فاجأت ديدى بضربة من قدمها فى بطنه جعلت الرجل يتألم ... ويتوجع .. بعد ما أخذته المرأة على حين غرة .. وانتهزت الفرصة وأسرعت ناحية الغابة باحثة

عن زوجها ·· وراحت تنادى عليه ·· وهكذا توالت الاحداث تباعا ·· فها هو بوجان يبحث عن جراى ، وآن تتغلب على ديدى ، وجراى يتصرف بمكر ·· وقـرر القديس التحرك بدوره ـ والان هيا يالوك ··· وتسللوا وسط الدخان الكثيف الذى خلفه جراى وراءه ·· ياله من صراع غريب · ! ستة أفراد يسعون كل وراء الاخر وسط الضباب ·· قد يفاجىء كل منهم بأحدهم أمامه دون أن يدرك ان كان القادم عدوا أم صديقا ·· وكان الصمت يلفهم جميعا ·· ماعدا ذلك النداء الذى كان يتردد من وقت لاخر :

ـ آن ··· آن ··

ـ جون ·· جون ··

وفجأة وجد القديس نفسه في مواجهة رجل نحيف القوام .. وما لبث ان قال له :

ـ لقد كنت رائعا ياجون ·

ولم يكن الدكتور يفكر الا فى آن :

ـ ترى هل رأيتها ؟ اين هى الان ؟ اننى قد سمعتها

ـ انها تبحث عنك ، وقد استطاعت الافلات على ما أرى ·· من قبضة ديدى ·· والان ان أمامنا الكثير من الامور التى تتطلب التسوية ·

وفجأة قال له : ـ صه ··

٤

وانصت واحس كما لو كانت استغاثة خافته قد سمعت ·· وهى أقرب الى وقوع أنثى بين أيـدى أعدائها ·

وسأله جراى بقلق : ـ ماذا سمعت ؟

ـ لست ادرى .. لنخرج من هذا المكان تفاديا لاية مقابلات غير مرضية ·· لتمسك بذراعى ··

وما ان غادروا المكان حتى فوجئوا برؤية من يبحثون عنها ·· وفى اللحظة ذاتها ظهر لوك ·· وعلى التو أسرع جون يحتويها بين ذراعيه ·· قائلا بنشوة لا تقارن

ـ أخيرا وجدتك يا آن ·

وأوضح لوك ما جرى بقوله :

ـ لقد أبصرتها من خلال الدخان ·· وكانت لا تتوقف عن النداء ·· وعندئذ أسرعت بوضع يدى فوق فمها لئلا يجذب صراخها بوجان وديدى ناحيتنا ·

وعلق القديس على ما قام به لوك بقوله :

ـ انه عمل رائع يابنى ·· والان ·· أين ذهب أصدقاؤنا ؟

ـ أما الزيكو فقد رحلوا بعيدا وعن الرجلين فانهما يحومان فى المنطقة ·· وما أظنهما بمهتدين للطريق الصحيح ·

وظل القديس يفكر فيما عسى أن يقوم به بوجان وزميله ·· وأخيرا قال

ـ لو اننى كنت مكان بوجان لعملت على اللحاق بالزيكو ·· فانه وحده لن يتمكن من القيام بأمر ما ، والموقف يختلف عندما يكونون معه ·· وذلك لمعاودة الامساك بالسيدة جراى وابعاد الدكتور وتسوية الامور مع مامبا ·

وقالت آن مرددة : ـ مامبا ؟ لن يخرج أحدا منه بأية فائدة فالمسكين يكاد يكون ميتا

وبكلمات موجزة روت عليهم تفاصيل ما وقع فى الكهف ·· وتنهد جراى ·· ـ ياعزيزتى المسكينة ··

ـ لم يعد هناك ما أخشاه ياجون وقد أصبحت قريبا منى

وتمتم الدكتور جراى : لنتوجه لله بالشكر ٠٠ وكذا للقديس الذى قادنا اليك ٠

ورد عليه سيمون يقول ـ شكرا جزيلا ـ ورغم أننى أعشق المواقف الغرامية والمجاملات ٠٠ الا أنكما يجب تدركا بأننا لم نغادر المكان الحرج بعد ٠٠ والان ٠٠ ما رأيك يالوك ؟

ـ اننى أتفق معك تماما أيها القديس ٠ فان بوجان وديدى قد فقدوا الصواب لفترة وجيزة فقط ٠

ـ هذا صحيح ٠٠ لفترة وجيزة ٠٠ وبالتالى فمازالت المشكلة قائمة .. والان اى الطريق تراهما سلكا .؟ ان هذا ما أود أن أعرفه

وقال الدكتور جراى وهو يداعب آن :

ـ وما أهمية ذلك الان ؟ وقد أدركا أن مامبا لا يستطيع تقديم أية مساعدة لهما .. وعن رانجا فهو لايدرى شيئا عن الدواء السحرى .. اما وقد التقيت مع زوجتى .. ومازلت الى جوارى ٠٠ فاعلم بأن بوجان لا يفكر الان الا فى الفرار ٠

وكان سيمون ينصت اليه دون أن يعترض أو يؤيد كلامه ٠٠ وقد لمعت عيناه ببريق غريب ٠٠ وقرر ألا يترك بوجان وزميله يفران دون عقاب ٠٠ وتذكر فريدى ٠٠ وما لاقته آن من متاعب ، وأتعين بأن ذلك لا يجب أن يمر دون عقاب ٠

ـ اننى أدرى منك بما تنطوى عليه نفوس المجرمين ٠٠ نعم .. اننى اتفوق عليك فى هذا المجال ، فلتعلم بأنها لن يتراجعا كما تتصور ٠ بل سيحاولان معاودة الكرة للوصول الى ما ينشدان من هدف ٠٠ وعلى كل ٠٠

وتأمل رفاقه الثلاثة ثم قال معترفا :

ـ الحقيقة أننى أرغب فى التحدث الى بوجان وزميله ··

وراح جراى يتأمل هذا الرجل الغريب الاطوار ·· الذى لا يبالى بأية مخاطر .. بل يسعى وراءها طالبا للعدالة ·

واحس القديس بالنشوة عندما أحس بنظرات آن اليه ·· فقد كانت سعادته تتجلى عندما يلاقى تقدير واعجاب الجنس الاخر ·· ولقد كان يتصورها جامدة حزينة الملامح نحيفة نتيجة سوء التغذية ، ولكنه الان يراها رائعة جذابة ·· وقال لها مبتسما :

ـ ان الامر لم ينته بعد ·· فمازال لدى له حوار يتعين القيام به مع الذين عملوا على اختطافك ·· وعندئذ يتحتم عليهم الافصاح عما فعلوا معك ·· وذلك عن طيب خاطر أو بارغامهم على ذلك ··

والتفت ليعاتب جون لانه لم يقدمه الى زوجته ·

وما أن سمعت آن باسم القديس حتى لمعت عيناها الجميلتان بنشوة طفولية ·· وسألته :

ـ هل ترى الدكتور بوجان يندم ؟

ـ لا ·· والحقيقة أن هذا الدكتور بوجان قد لجأ لاقل الطريق دقة لاكتشاف لغز الدواء السحرى ·· وأردف سيمون قائلا : ـ ان الدكتور بوجان لن يهرب بل سيعود على أعقابه ثانية ·

ونادى لوك يسأله : أهناك طريق آخر للوصول الى موكولو ؟

وهز لوك راسه وتدخل جون ليقول :

ــ لا يوجد سوى طريقين : ذلك الذى طرقه بوجان ورجاله ٠٠ والاخر وهو الذى سلكناه ٠٠

وعقب لوك بقوله : ولكن الطريقين يلتقيان عند قرية الزيكو : حيث وجدنا سيارتهما ٠٠

وعندئذ قال القديس :

ـ حسنا ٠٠ ان الامور تمضى بطريقة حسنة ٠٠ شريطة أن تدعونى هذه المرة أمضى فى المقدمة

ولمس القديس مسحة من الخوف على وجه آن ٠٠ وهذا ما جعله يشعر بالفرحة ٠٠ اذ كان بحاجة الى مثل هذا التشجيع ٠٠ ولو كانت آن بعيدة عنه ٠٠ اذ أنها كانت متعلقة بزوجها بكل قواها . ورغم هذا كانت تكن للقديس الاعجاب ٠٠ وهذا ما كان يدفعه بحماس للسعى وراء المغامرة ٠٠

وقال وقد ركب رأسه : والان ٠٠ الى الامام

وقالت السيدة آن : ـ لا داعى للقلق فيما يتعلق بى ٠٠ فاننى اعرف كيف أمضى وحدى ٠٠ ولا داعى بالتالى للتباطىء والتأخر بسببى ٠

ورد سيمون عليها بقوله : ــ لتكونى مطمئنة يـا صغيرتى ٠٠ فلقد كنت ماهرة حتى الان ٠٠ مما يتيح لى الركون اليك ٠٠ ولكنى قد عزمت على عدم الوقوع فى كمين جديد ٠٠ خاصة وأن بوجان وزميله على درجة عالية من الدهاء ٠٠

ولم يكن مخطئا فيما يتصوره خاصة وانه كان معتادا على هذا النوع من المطاردات ٠٠ ومن ثم أخذ القديس يتخيل ما قام به بوجان ٠٠ بعد أن راح يبحث ويسعى وراء جراى وسد الدخان دون جدوى ٠٠ ويبدو أنه كان

قد احس بالضياع عندما ظهر امامه ديدى على غير موعد
ـ ماذا تفعل هنا يا ديدى ؟

ـ ان السيدة .. نعم .. السيدة جراى .. الم تر ها ؟

ـ وكيف يتسنى لى ذلك وسط هذا الدخان .. لقد سمعتها تنادى زوجها عدة مرات ·· ألم تستطع أن تمنعها من ذلك ؟

ـ لقد أفلتت من يدى ··

ـ اذن فانى اهنئك .. اتركك لتقوم بحراسة سيدة فتهرب منك ··

ـ انها كالحية ·· وأنت نفسك تدرك كيف دفعتك عندما كدت تطلق النار على زوجها ·· وأخذ بوجان يتأمله وقد اكتسى وجهه بالغضب : ـ أكمل ··

ـ ان الامر غاية فى البساطة ·· عندما ذهبت تسعى وراء جراى ·· أمسكت بالمرأة جيدا ·· وأخذت تقاوم وتتلوى كالافعى ·· تكيل الى الضربات تارة الى بطنى واخرى الى أقدامى ·· وفجأة ولت هاربة ·· متجهة فى نفس اتجاه زوجها ·· وكنت سأسعى خلفها عندما أبصرت بلوك ·· ذلك المرض ·· وكان ممسكا بندقية ·· ثم ··

ـ تكلم ·· وعرفنى بما عندك ··

ـ هل تذكر ما قاله لنا الزنجى الذى كان مختبئا فوق الشجرة لمراقبة الطريق قرب القنطرة ·· من أنه أبصر برجل أبيض يصاحب جراى ·· لقد تأكدت بنفسى من ذلك ·· اذ رأيته وتمتم بوجان : ـ رجل آخر ·· ان الامر ليدعو للدهشة ·· ويثير قلقى ··

ولم يفكر طويلا ثم قال : ــ اذن لنسرع بمغادرة هذا المكان ..

وقرر أن يسلك الطريق الذى حضروا منه .. وقد لحق به ديدى لاهثا .. وقال له :

ــ لقد أصبحنا فى مأزق .. خاصة اذا ما كانت آن قد لحقت بزوجها ..

ــ أيها الغبى .. اننى اتساءل عما اذا كنت عاقلا .. وان كانت آن قد هربت منا .. فلن يكون ذلك لفترة طويلة بأى حال ..

واضطر ديدى لان يستوضحه اذ بدا كلام بوچان غامضا :

ــ وكيف يمكن ذلك ؟

ــ علينا باللحاق بالزيكو .. واقناعهم بأن جراى قد سخر منهم ، وعندئذ يسرعون بمهاجمته ومن معه .. وهكذا ترى بأن الزيكو مازالوا رهن اشارتنا .. وهذا أفضل وأقوى بكثير من رجل كالدكتور جراى أو زميله الذى جاء لمساعدته .. هيا .. أسرع يا فريدى والا تخليت عنك ..

ودب النشاط فى اوصال فريدى الذى أسرع يتبع سيده الذى قال له :

ــ اننا نمضى على نفس الطريق .. واذا ما أردت أن تتخلى عنى فالى اللقاء .. وبالتالى لن تحصل منى على اية اموال مستقبلا .

الفصل الخامس عشر

أسرع بوجان وزميله الخطى تجاه قرية رانجا ٠٠ يمضى الاول فى المقدمة وقد بدا منهمكا فى التفكير فيما سيقوم به .. بينما كان ديدى يتبعه وقد اضحى وجهه أكثر طولا ٠٠ وعلى حين غرة قال لبوجان :

ــ كيف يتسنى لك اعادة السيطرة على الزيكو وهم فى هذه الحال من الثورة ؟

ــ سنرى ذلك ٠٠ الذى يهمنى أن يكونوا قد أدركوا قريتهم ٠٠ والا ٠٠

وصاح ديدى بدهشة : ــ اتراهم ينتشرون حــول أكواخهم ٠٠

ورد عليه بوجان وهو يضاعف من خطواته :

ــ لنمض برغم كل احتمال .. اننى اعرف ما يؤثر فيهم شريطة أن تقوم بالترجمة الصادقة ٠٠

واخيرا ادركوا القرية وكما توقع ديدىوكان العديد فى الزيكو مختبئين فى الاحراش المجاورة .. ولم يكن فى المكان الرئيسى للقرية سوى القليل من المقاتلين ٠٠ وقد أحاطوا بزعيمهم ٠٠ شارحين له ما صادفهم ٠٠ مؤكدين روايتهمبالكثير من الحركات وحاول ديدى بناء على رغبة بوجان أن يلم بما يرويه الرجال ٠٠ وما يدور بخلدهم ٠٠ وأفلتت منه ضحكة عابرة ثم قال معقبا :

ــانهم ما زالوا يعتقدون أنهم قابلوا شبح جراى ٠٠ ويبدو أن بعضهم قد ذهب لمعاينة الكمين وابصر بآثار دماء فوق الرماح المغروسة به .. خاصةوانهم اكتشفوا ان جراى سقط فى الكمين .. خاصة وانهم اكتشفوا قبرا حديثا على مقربة من المكان ٠٠ ولهذا فهم على ثقة

من أن جراى هو الضحية ٠٠ وأنه دفن قرب الكمين ؟

وضحك بوجان ساخرا ٠٠ وقد بدا الاحتقار جليا على وجهه ٠٠ ثم قال :

ـ اننى أرثى لحال هؤلاء المجانين ٠٠ وأرجو ان تبلغهم بذلك ٠٠ ولتخبرهم بأنشبح جراى لم يفعل لنا أى شيء .. واننا على النقيض منهم لم نسرع بالفرار بل غادرنا المكان بهدوء ٠٠ ولكن لماذا ؟ ذلك لاننى ساحر كبير ولاننى اتمتع بالمناعة ضد الاشباح ٠٠ ولهذا عدت الى القرية لحماية رانجا ورجاله ٠٠

هيا ماذا تنتظر لتبلغهم بذلك ؟

وتردد ديدى وتمتم :

ـ كن حذرا يا بوجان ٠٠ انهم لن يغفروا لنا آية اساءة ٠٠ خاصة وأنك تنعتهم بالجبن ٠٠

ـ علينا بالمخاطرة ٠٠ لقد تقدمنا كثيرا لنتراجع ٠٠ انها الفرصة الوحيدة أمامنا للفوز ٠٠

وبدأ ديدى فى مخاطبة الزيكو ، ورفع راجا يديه معارضا ثائرا ضد هذا الاتهام الظالم لرجاله وأخيرا تنهد ديدى بعمق وهو يقول :

لقد نجحنا ورانجا يبلغك بأن رجاله ليسوا جبناء .. فقد برهنوا على عكس ذلك فيما مضى ، ولكنهم لا يملكون حيلة ازاء الاشباح ٠٠ وحتى تلك الاسلحة التى حصلوا عليها منا لا تجدى ازاء تلك الاشباح ٠٠

عندئذ قال بوجان : ـ اننى على استعداد للقضاء على هذه الاشباح ٠٠ وليقم رانجا بارشادى عن أحد تلك الاشباح وعندئذ أقوم بقتله أمام أعين القبيلة كلها ٠٠

وما أن استمع رانجا الى هذا الاقتراح حتى قام بالاجتماع بأفضل محاربى القبيلة ٠٠ طالبا مشورتهم فى هذا العون الذى يهدف الى تخليص الغابة مما بها من

اشباح شريرة . واشرق وجه ديدى وقال لبوجان ـــ ان رانجا يوافق على الرهان ··

وازاء نشوة بوجان اضاف ديدى قائلا :
ـ وعليك أن تدرك بأنه أعلن عزمه على مكافأتنا نحن الاثنين ··

وضحك بوجان وقال لديدى : حسنا .. ترى ايخشى صديقى ديدى الا امنحه نصيحة . .لا داعى لان تتصور هذه الافتراضات والان ·· لنسرع ·· وليرافقنا رانجا بينما يتوارى رجاله وسط الاحراش ·· ولسوف يرون بأننى لا أهتز أمام الاشباح ··

وعادوا برفقة الزعيم ورجاله مدبرين عبر الطريق الذى أدى بهم الى القرية ·· وقال بوجان موضحا لزميله :

ـ ان جراى سيمر من هنا للوصول الى موكولو ·· وحتى فى حالة عدم عزمهم على مطاردتنا فليس امامهم أيضا غير هذا الطريق ··

٦

وفجأة ابصر بوجان بأحـــد محاربى الزيكو وهو يتحرك تحت الغابة ·· ممسكا بهراوة ثقيلة ·· وقال :
ـــ لنطلب اليه أن يعطينى هراوته

وبعد أن تسلح بالهراوة أشار الى شجرة يتدلى من جذعها الضخم غصن يعترض الطريق ·

ـ ياله من مكان ملائم للامساك بالاشباح ··
والتصق بالجذع باحثا عن المزايا العديدة للمكان ·· ونادى على زميله قائلا :

الغريبة التى تملأ الغابة · وفجأة تردد فى المكان صفير أدرك بوجان مغزاه اذ كانت تلك الاشارة هى المتفق عليها .. وامسك الرجل بالهراوة فى يده متصورا بأنها كفيلة بتحطيم أى راس تهوى عليها .

وكانت الجماعة التى يقودها سيمون تتقدم بخطى ثابتة·· وقد أسرع سيمون ممسكا ببندقية وقد صمم على استخدامها هذه المرة .. وكان قد حزم امره ولن يحول جراى دون ذلك ···

وسأله لوك الذى كان يسير خلفه ··

ــ ما الذى تتوقع ايها القديس ؟ خاصة واننا مازلنا بعيدين عن القرية ···

ــ اننى مازلت أذكر الكمين الذى أطبق على فريدى .. ولما كان هناك غير متسع عن الوقت امام اصدقائنا لمعاودة الكرة واقامة كمين جديد .. فهذا لا يحول دون أن تكون هناك كمائن قديمة يزدخر بها الطريق ···

وهكذا راحوا يتقدمون صوب القرية .. وعندما باتوا على مقربة منه قال جراى :

ــ والان لنتبادل أماكننا ؟

ــ وماذا تغنى بذلك ؟

ــ أقصد أن تظل فى المؤخرة منذ اللحظة ··

ــ وأنت ؟

ــ سأتقدم حائلا بذلك دون تعرضك لاية مخاطر . وعندئذ اعترض لوده قائلا :

ــ لا يادكتور جراى ·· دعنى أتقدم الجماعه ··

ــ لا ·· يالوك لن أدعك تفعل ·

ـ ساعدنى على الصعود ·· هيا أسرع ··
وجعل ديدى يديه كركاب السرج ثم أضاف معقبا :
ـ انك غير خفيف الوزن يا بوجان .. وكان الافضل أن أؤدى ذلك الدور الذى تزمع القيام به ··
ـ هذا صحيح ولكنى أنوى التأثير فى الزيسكو ··
ولم يضف بوجان مزيدا ·· اذ كان يريد الحصول على تقدير الزيكو وحده وذلك للفوز بما يريد .. وما ان أدرك الغصن حتى تمدد بوجان فوقه وكأنه حيوان يراقب الطريق ·· وتساقطت الاوراق من حوله ·· وعندئذ قال له ديدى وهو يرقبه بنظرة متسائلة :
ـ أتظنك أهلا لما تقوم به ؟
ـ فلتأمل ذلك ياديدى من كل قلبك ·· والا سارت الامور بطريقة سيئة بالنسبة لنا ··
وبعد ان استقر بوجان فى مكانه .. حتى كاد يتلاشى وسط الشجرة الكثيفة .. قال له ديدى معلقا :
ـ اذا ما نجحت فى هذه المهمة يا بوجان فانى سأتمنى لك تقديرا ·· وأنت عل صواب فيما تعتقد فى حالةفشلك فى ذلك ··
وأردف وهو يبتسم :
ـ وخاصة فيما يتعلق بك ·· أذ أن دورى كان يتلخص فى تنفيذ اوامرك ..
ـ سنتحدث فى ذلك فيما بعد ياديدى ·· والان لتطلب الى رجال رانجا أن يراقبوا الطريق ·· و ليشيروا الى غد رؤية الشبح ، والان لتتركنى وشأنى اذ هذا المكان الذى اقبع فيه غير مريح ومضت الدقائق طويلة .وخيل لبوجان أنه قد مضت أكثر من ساعة منذ تعلقه بالشجرة ·· ولم يكن يتردد فى المكان سوى صرخات القرود أو تغريد بعض الطيور أو غيرها من الاصداء

وتأمل سيمون ما ارتسم على وجه جون من اصرار وقال له : لا داعى لهذ التضحية من جانبك .. فزوجتك بحاجة اليك ·· وأما نحن ··

وحاولت آن دون اتمامه .. اذ قاطعته قائلة :

ـ ان لدى كلمة صغيرة يامستر تمبلار ·· فرغم ما اكن لزوجى من محبة الا انى اكون غير راضية اذا ما جعلك تتجشم كل المشاق وحدك ··

وعاد القديس يتأمل الوجوه الثلاثة ·· وقرر على عجل اذا ما كان الوقت ملائما للمناقشات :

ـ حسنا ·· علينا أن نختار ما بين جون ولوك ··

وجذب من جيبه قطعة معدنية وسأل لوك عن الناحية التى يختارها

وقال الاخير : ـ الوجه ··

وألقى سيمون بالقطعة المعدنية فى الهواء ·· واسرع يلتقطها فوق يده ·· ومالبث أن قال :

ـ لا .. يا لوك .. لم تفز

ـ وعليك اذا أن تمضى فى المقدمة ياجون ·· وذلك بشرط أن نتبادل المكان كل ميل ··

وعاودوا السير وجراى مجرد اليدين من اية اسلحة معرضا نفسه بذلك لان يكون هدفا واضحا .. ولذا فقد تبعه لوك وبيده بندقية فى انتظار اللحظة التى يدافع فيها عن سيدة ··

وضاعف جراى من خطى الجماعة الامر الذى جعل سيمون يهز كتفيه ·· مدركا أن الدكتور كان يسعى للوصول الى بيته بأسرع ما يمكن ·· ومالبث جراى أن تمتم مندهشا :

ـ اننى اتعجب من تأثير بوجان على الزيكو ٠٠ خاصة وأنهم على درجة عالية من الشراسة ولا يحبون البيض ولقد استطعت التقرب اليهم بعد جهد خارق .. وهكذا تنسى لى الحصول على الدواء من مامبا ٠٠ والان يأتى بوجان ويتمكن باهدائهم بضع بنادق من السيطرة عليهم الى هذا الحد ؟ ٠٠

واوقفه سيمون وهو يقول :

ـ لا داعى لهذه التأملات والا جدى لك ان تنظر امامك ٠٠ متذكرا أنهم الان يراقبوننا ٠٠ بل اننى اتخيلهم على وشك التساقط فوقنا ٠٠ ولتعلم باننى لا أخطىء الحدس أبدا ٠

وبالفعل كانت الاشجار قد أطبقت على الطريق ٠٠ حتى انهم كانوا يضطرون لخفض رؤسهم ليتمكنوا من مواصلة السير ٠٠

وتمتم القديس : ـ ياله من مكان رائع لكمين ..
وأيده لوك بقوله : ـ ان أكثر المناطق خطورة على الطريق ٠٠ ولتعلم بأن قرية رانجا تقع فىنهاية هذا النفق النباتى ٠٠
وقبض القديس على ذراع لوك قائلا :
ـ عليك الالتزام بالصمت حتى نخرج من هنا ..
ومضوا فى طريقهم ...وهم يتأملونتلك الاشجار التى تحيط بهم ٠٠ وقد ظل القديس يتساءل عن أفضل الزوايا لاقامة كمين لهم ؟ ٠٠ وهكذا راح يدور حول نفسه ٠٠ محاولا الكشف عن اية حركة مثيرة ، وكانت آن تسير خلفه بخطى هادئة .. وما لبثت ان امسكت بيده وحتى تقول له : سيمون ! ٠٠

وكان القديس معتادا على مثل هذا النداء الرقيق ٠٠ حقا ٠٠ ان آن تحب زوجها ولكنها تنظر اليه باعجاب وهو الغريب الذى طبقت شهرته الافاق والذى جاء الى قلب افريقيا ليمدلهم يد المساعدة ٠٠

واستدار ناحية المرأة ليقول لها مطمئنا :

ـ واستدار ناصية المرأة ليقول لها مطمئنا :

ـ كونى هادئة ولتعلمى اننا سنخرج سالمين من هذه المحنة .

وخيل اليه بأن هناك حركة بين الاوراق ٠٠ أتراه أيكون فهدا كالذى انقض عليه قبلا ؟ .. واحس كأن الحيوان لا يلبث ان يقفز فوق جراى .. ولكن اتراه يقدر على هذا الصراع المرير ؟ ٠٠

ـ حذار ياجون ٠٠ أنظر فوق رأسك ٠٠

ووقع الامر فى لمح البصر ٠٠ ولم يتمكن جراى من التراجع واذا بهراوة تدق رأسه وسقط يتوجع ٠٠ وصاحت آن ٠٠ ولم يركز سيمون اهتمامه الا على العدد ٠٠ رغم أنه صاح لتنبيه المرأة ٠٠

ـ آن .. ابتعدى قليلا ..

ولم تستمع اليه وأسرعت ناحية زوجها محاولة اعادة الرشد اليه.. ودوى صوت لوك مرددا اننى اراه .. ورفع لوك سلاحه ناحية الكتلة التى تستند الى غصن الشجرة .. وفى تلك اللحظة اكتشف سيمون بأنه امام رجل وليس فهد كما تهيأ له قبلا .. وكشف الاخير عن نفسه وهو يقول لهما :

ـ بعض الهدوء ياأصدقائى ٠٠ لا داعى لاطلاق النار ٠٠ فاننى أعزل من السلاح ٠٠

وصاح به سيمون وهو يشير بقدمه الى الهراوة : ـ فيما عدا هذه ٠٠

وعندئذ قال لوك موضحا حقيقة الرجل : ــ انه بوجان ...

وعلق القديس باسما : ـ اذن فهو حفيدى بوجان ٠٠ واذن فقد تقابلنا أخيرا ٠٠ والان لتغادر مكانك ياصديقي ولتحضر لارى حقيقة أمرك ٠٠ ولا داعى لان تتقوقع فى مكانك والا .

ورفع بندقيته تجاهه .. ولم يبدو بوجان مرتبكا : ـــ

ـ انك تخطيء بذلك أيها الشاب ٠٠ فليست أمامك أدنى فرصة ، واذا لم تصدقنى فانظر حولك ٠٠

ونظر القديس حوله ليرى وجوها عديدة قد تخللت الاشجار . وادرك بأن الزيكو يحيطون بالمكان وقدقبضوا على رماحهم وراحو يتأملون شبح جراى وقد عادت اليه الحياة ٠٠ وضربة بوجان ٠٠ وقال الاخير ٠٠

ـ هل رأيت بنفسك ٠٠

ولم يكن يعرف القديس ٠٠ ووقف الاخير ساكنا : ـ

ـ لقد طلبت اليك النزول ٠٠ واقناع أصدقائك بالبقاء بعيدا والا كنت أول من أرمى الرصاص ٠٠ وصاح بوجان : ـ لا ٠٠ لا ٠٠ لا تفعل ٠٠ ولتعلم بأنه لا سيطرة لى على هؤلاء المتوحشين ٠٠ والذين لا يعنيهم كثيرا موتى او بقائى حيا ..

وكانت الرماح المحيطة بهم تؤكد ما يتعرضون له من مخاطر ٠٠ وقال لهم بوجان :

ـــ ان امامك ايها السيد الذى لا اعرفه فرصة للفرار مع السيدة جراى .. ولو انك اطلقت النار لاحدثت مذبحة ٠٠ وهمس لوك فى آذن سيمون :

ـــ لا تستمع اليه ايها القديس اننا بأىحال متعرضين للمخاطر ٠٠

وتردد سيمون ·· وقرر بوجان ازاء تهديد القديس ان يغادر مكانه والقفز الى الارض .. وعاد لوك ليقول هامسا للقديس : — ان الزيكو بحاجة اليه .. فقد وعدهم بالاسلحة والذخائر ...

— حسنا .. ولكننى افكر فى موقفنا .. فاننا الان معرضين للموت اما بناء على اوامر بوجان او بقتله ومهاجمة الزيكو لنا انتقاما له ··

وظهر ديدى فى تلك اللحظة ليلحق ببوجان .. ومال سيمون على لوك ليسأله عن القادم ·· وما أن علم بما يريد حتى قال للقادم الجديد :

— مرحبا بك يا ديدى ··

وصاح به بوجان : — كفى مزاحا ·· ولتذكر بانك اسير ··

واستدار ناحية ديدى ليقول له بهدوء :

— اطلب الى الزيكو ان يقوموا باقتيادهم ··

ولم ينتظر الزيكو طويلا ... وتقدموا يحيطون بالجماعة ·· وصاحت آن متسائلة :

— هل تتركون جون ؟ وقد اصيب اصابة بالغة . ومن يدرى ربما يكون قد لفظ انفاسه ··

وقال لها بوجان مؤكدا :

— بالتأكيد ·· لا ·· فاننى طبيب ·· ولعلك لا تكونين قد نسيت ذلك ·· ولهذا فاننى على دراية بالانواع المختلفة للضربات ·· اى تلك التى تؤدى للاغماء وغيرها مما يؤدى للهلاك ·· والان ·· لتطلبى الى من معك ان يلقيا باسلحتهما جانبا والا أمرت بقتلهما فى خلال نصف دقيقة من الان ؟

وراجت تتوسل بنظراتها لسيمون ان ينفذ ما طلب بوجان ·· وأما لوك فقد هز رأسه قائلا لسيمون :

ـ الافضل لنا عدم تسليم أنفسنا احياء للزيكو ··

ورد عليه القديس معترضا :

ـ لا ·· انك تخطىء يا لوك ، فقد كانت جدتى تقول لى دائما « طالما كانت هناك حياة .. طالما كان هناك امل » .

ـ هل تتحدث عن الامل وأمامكم هؤلاء المتوحشون ··

وفجأة تحركت آن وامسكت ببندقية لوك واتجهت بها صوب بوجان ··

ـ والان .. لن يعد هناك مجال لمعاودة التحدث عن الطيبة ··

وضغطت آن على زناد البندقية ودوى فى الارجاء صوت طلق نارى ·· وأزاح القديس بالسلاح وهو يقول :

ـ ان الدكتور بخير ·· .

وابصروا بجراى يتحرك بصعوبة ·· بينما راح بوجان يضحك وقد علته النشوة :

ـ لا داعى لهذه الالاعيب ، والان تقدم يا ديدى لرؤية اذا ما كانوا يحملون اسلحة أخرى ··

وتم تحقيق ما يريد بوجان ، وأسرع بعض الزيكو لتقييد الاسرى ·· وأطمأن بوجان وقال بلهجة آمرة ·· ـ

والان هيا بنا .. يا دكتور جراى .. فلسنا بعيدين عن قرية اصدقائك الزيكو .. واذا ما كانت امامى فسحة من الوقت فسأجعلك تروى لى كيف عملت على تعليمهم الانجيل .. ولا شك انه أمر مسل .

ومضى الدكتور جراى يئن الى جوار الدكتور بوجان ثم سأله :

ـ أتنوى ان تتركنا بين أيدى هؤلاء القوم ؟

ـ كيف ؟ الا تريد ذلك ؟ الم تتخذ موكولو مقرا ا
للعمل على تهذيب واصلاح حال الزيكو ؟ ٠٠

ـ أتعرف انهم من أكلة لحوم البشر ٠٠ ولربما كان
آخر من يقوم بذلك في افريقيا ٠٠ ولتعلم بانهم يعملو
على مساعدتك لامر في نفوسهم .. اظنك تدركه ؟ .

ـ حقا ٠٠ وهل توافق على التعاون معى ؟

ـ اننى لا املك ما يستحق ان اقدمه لك ..

ـ لا داعى للمزاح يا جراى ..و لا شك ان آن
اخبرتك باننى اسعى وراء الدواء السحرى ٠٠ نعم
اعطنى اياه فاحاول التأثير على هؤلاء الزيكو ليطلق
سراحكم ٠٠

ـ لو كنت اعلمه اا ترددت فى اعطائه لك شريا
ضمان حياة آن ٠٠ اننى اقسم لك باننى لا أعرفه ٠٠

ـ لقد اعطاك مامبا كمية منه ٠٠ ولقد تحدثنا عن ذ
فى نيروبى .. فقدمها الى لاقوم بتحليلها ..
وأشرق وجه جراى وقال له :

ـ نعم .. انها فى جيبى .. نعم .. خذها طالما ك
يدى موثوقة ٠٠

وأسرع بوجان باحثا بين طيات ملابس اسيره ٠٠
لم يعثر على شىء ٠٠ فقد صاح :

ـ اتخدعنى ايها الملعون ؟ ..

ـ ولكن كيف ؟

ـ لا أجد شيئا ٠٠

ـ نعم .. نعم .. ان هناك علبة صغيرة ..! اسا
بها على معالجة سيمون بها ٠٠٠

ــ اننى اكرر لك بأن جيوبك خاوية ..

وكان بوجان صادقا .. وأسرع ديدى بدوره يبحث فى جيوب الرجل .. دون جدوى .. ولا شك ان العلبة انزلقت اثناء تسلق جراى الصخور .. والتزم جراى الصمت وقد خشى على زوجته وتبدد الامل فى انقاذها .

عندئذ قال له بوجان غاضبا : ــ حسنا يا دكتور .. لقد عرضت عليك فرصة لم ترضى باغتنامها ..

فلا مفر من الالتجاء الى طريقة تبعث الفرحة فى قلوب اصدقائنا الزيكو ..

الفصل السادس عشر

بدأ الطريق يتسع ·· وراح الزيكو يتصايحون ·
وتطرقت اليهم دقات الطبول . للدلالة على الامساك به
خرجوا وراءهم ·· وكان بوجان يمضى فى المقدمة ·
جامد التقاطع يتبعه ديدى .. الذى سأله

ـ اننى اتساءل عن مغزى هذه الدقات ·· و
تهديدانك ·· اتنوى تسليم الاسرى للزيكو ؟

ـ ومن قال لك انهم لم يصيروا بعد اسراهم ؟

ـ انهم اسرانا ؟ وليسوا اسراهم ؟

ـ ومن يدرى ·· ربما دفعهم ذلك على الكلام ··

ـ انك مجنون ·· اتدرى كيف تنتهى حفلات الزيكو ·

ـ لا اريد ان اعرف .. لا تخبرنى يا ديدى .. انن
افكر فى الحصول على الدواء من مامبا ··

ـ انه رجل كمهل يهذى ·· ولن تستفيد منه بأ
يسير

ـ اذن اتراهننى يا ديدى ؟

وأخذ الاهالى يتصايحون وهم الاسرى .. وأتجه جرا
ناحية رانجا وراح يحدثه دون جـــدوى .. وما لـ
ان لحق بمجاعته .. وقد بدا عاجزا . .واعترف قائلا

ـ لقد حاولت الكثير معه ·· وأعدت عليه انقا
لابنته عندما كانت مريضة .. ولكنه يرفض الاستم
الى ··

وسأله القديس : ـ والان ؟ ··

وقاطعه لوك بقوله :

انهم يعدون النار استعدادا للاحتفال الكبير ·

وارتعد لوك ·· وقال القديس معلنا :

ـ برغم المغامرات العديدة التى مرت بى ٠٠ الا أنه لم يدر بخلدى باننى ساقضى نحبى كجان دارك وبالتالى اصبح القديس قديسا حقيقية .

ووضع الاسرى الاربعة فى كوخ دائرى ٠٠ وقد اوثق كل منهم باحد اعمدة الكوخ ٠٠ بينما تعالت صيحات الزيكو فى الخارج وقد راحوا يحتسون الكحول ٠٠ وأمسك جراى بنفسه قائلا للقديس :

ــ لعلك تنسى ما اوقعته بك وتسامحنى ٠

ـ ولماذا ؟

ـ لاننى اوصلت بك الى هذا القدر ٠٠ وعليك كذلك أن تغفر للزيكو ٠٠

ـ هدىء من روعك ٠٠ ولتعلم بأننى لست قديسا حقيقيا ٠٠ ولتعلم يا صديقى جون باننى افكر فى التخلى عن حفل الزيكو واللحاق ببوجان ٠٠ ولا شك أن هناك وسيلة ما ٠٠ علينا ان نعثر عليها ٠٠

وسمع الدكتور جراى قهقهة مطمئنة تسرى فى ارجاء الكوخ :

ــ لا داعى ارهاق نفسك بالندم .. بل حاول ان تعثر على وسيلة تفيدنا ٠٠

ـ لا أعتقد ان هناك ادنى امل ٠٠ فان الزيكو عنيدون يمكن التفاهم معهم وهم على هذه الحال ٠

ــ اذا لنحاول العثور على طريقة غير عاقلة والان . صف لى يا لوك كيف يعدون طبقهم المفضل ٠٠ ولتعلم باننى لا أمزح ٠٠

وازدادت دقات الطبول ووسط الضجيج المنبعث منها قال لوك :

ـ انهم يحتفلون الليلة بعيد القمر ٠٠ و ٠٠

واكمل القديس : ــ وسنكون نحن طبقهم المفضل ٠٠

واستطاع القديس بفضل الضوء الخافت الذى كان يتسلل للكوخ من النار المستعرة ان يلمس مدى مايقاسية اصدقاءه من جزاع فقال لهم :

ـ والان ٠٠ لقد اتخذت قرارى ٠٠

وتمتم الدكتور جراى : ـ لقد قضى علينا ٠٠ يا لزوجتى المسكينة ٠٠

وعاتبه القديس قائلا : ـ وأما أنا فلا أعترف بذلك ٠٠ اننى أنتظر ، وآمل ، وأعمل جاهدا للبحث عن مخرج ٠٠ وعندما أفعل فاننى أصل الى ما أريد ٠٠

ـ وكيف ؟

ـ اننى لا أعرف ٠٠ وان كنت على يقين بأن هناك ما يمكن القيام به ٠٠ ونحن أربعة أفراد ، ولا شك أننا نستطيع بالمزيد من الجهد الوصول الى نتيجة ما ٠٠

وتعالت حدة الدقات فى الخارج ٠٠ وقال القديس ملاحظا :

ـ يبدو أن بتهوفن كان رضيعا ٠٠ فهذه السيمفونية التى تنبعث من الخارج ٠٠ تحمل بين طياتها ما يدل على ٠٠ اعداد طعام ساخن ٠٠ والان لنستعد يا جون ٠

ولم تصدق آن ما تسمع ٠٠

ـ سيمون ٠٠ أتراك تنتظر المستحيل بحق السماء !

ـ وما فائدة الحياة اذن يا آن ؟ ولكنى أرغب فى معرفة ما يفعل بوجان وزميله ٠٠

وقال له جراى : ـ انهم سينعمون برؤية الزيكو يقضون علينا ٠٠ الا اذا شعروا بتأنيب الضمير فى اللحظة الاخيرة ٠٠

ـ لا تعتمد على ذلك ٠٠ ان بوجان نفسه يخشى من زميله ، ولقد أدركت ذلك ٠٠ ولذا فلا شك أنه سيصطحب

ديدى بعيدا لئلا يشهد احراقنا ٠٠ ولتعلم بأنه حتى بين القتلة يوجد المرهفو الحس .

وقال لوك : ـ ربما ذهبوا الى بيتنا ؟

ـ نعم ٠٠ ربما اعتقد بوجان أن الدواء هناك ٠٠ ذلك الدواء السحرى الذى حصلت عليه من مامبا ؟

وصاح القديس : ـ مامبا ؟ انها الاجابة المنشودة ٠٠ اننى أقطع بأن بوجان عاد أدراجه الى كهف مامبا ؟

وهكذا صدق حدس القديس ٠٠ اذ أن بوجان بعدما طلب التحفظ على الاسرى وشرع الزيكو فى الاحتفال قال ديدى :

ـ ماذا ننتظر ؟ من يدرى ما قد يحدث بعد تناول الزيكو لوجبتهم الشهية ؟

وقال له ديدى معترضا :

ـ أنرحل ونترك الدكتور جراى وزوجته وأصدقاءه ٠٠ ولكن ٠٠

ـ انها الوسيلة الوحيدة حتى لا تظل مطاردا من قبل القانون ٠٠ ولسوف يتولى رانجا أمرهم حتى لا يكون هناك من يوشى بك لدى الشرطة ٠٠

وكما تصور لوك حاول ديدى اقناع بوجان بالتوجه الى مقر الدكتور جراى ٠٠ ولكن بوجان هز رأسه قائلا :

ـ ليس الان ٠٠ ان أمامنا ما يتعين انجازه ٠

واتجها ناحية الطريق الذى يؤدى الى كهف الساحر مامبا ٠٠ واضطر ديدى لان يمضى خلف الرجل الذى كان بمثابة قائد الحملة . . محاولا اقناع نفسه بأن عقوبته عند القبض عليهما ستكون أخف لكونه تابعا وليس منفذا لما يفعل بوجان ٠٠ وما لبث أن قال لبوجان :

ـ شريطة أن تكون الزيارة الاخيرة لهذا الرجل العجوز ٠٠ الذى لا ارتاح اليه ٠٠ ذلك الكهل الغبى ٠٠

ـ وأما أنا فلست متفقا معك فى كون مامبا غبيا ٠٠ لقد حاول التظاهر بذلك ولكنى سأعرف كيف أعيد اليه رشده ٠٠

وكان القمر يضىء الطريق ٠٠ وسارا من خلال الطريق الذى أصبحا على دراية به ٠٠ ورغم أن ديدى كان معتادا على الرحلات ومشاقها الا أنه أعلن لزميله وقد أحس بالالم فى معدته ٠٠

ـ اننا نخطىء بهذا العناد ٠٠

ـ كفى ٠٠ واننى لاؤكد لك بأننا سنفوز الليلة بكل شىء ٠٠ لا داعى لتخويفى أيها الجبان ٠٠ فاننى لا أخشى أى شىء ٠٠ وأدركا حافة الكهف الذى تفترشه العظام ٠ وعبرا المكان الذى اتخذه جراى هذا الصباح مسرحا لقيامه بدور الشبح ٠٠ وكان الصمت يخيم على المكان ٠ وقال بوجان :

ـ حسنا ٠٠ والان سيتكلم معنا مامبا دون أن يتدخل أحد بيننا ٠

ولم يكن ديدى يتوقع ذلك ٠٠ اذ كان الساحر فى اعتقاده رجلا ، متقدما فى العمر ٠٠ لا يعى شيئا ٠٠ ولا يعلم شيئا ٠٠

ـ لقد أفزعته يا بوجان ٠٠

ـ اذن سأكون وديعا معه ٠٠ حتى يتكلم ٠٠

ـ هذا اذا ما كان بعد على قيد الحياة ٠٠

وهز بوجان كتفيه بغضب ٠٠ فقد أحس بأن ديدى يضايقه ٠٠ أتراه خائفا أم لعله يفكر فى التخلى عنه وساورت بوجان فكرة ما لبث أن قرر الشروع فيها ٠٠

بات زميله عائقا أكثر منه مساعدا ·· ولذا فعليه أن يتخلص منه عقب الانتهاء مع الساحر ..

ـ سأتصرف معه بطريقة هادئة تجعلنا نكسب وده ··

ولاح أمامهما المدخل وان بدا فى ضوء القمر مختلفا عما كان فى الصباح .. وتبع ديدى رئيسه .. وكانت المشاعل ما زالت فى مكانها ·· يتصاعد منها دخان حزين ·· والرهبة والصمت يخيمان على المكان ·· وهب الحارس الذى كان مكلفا بحراسة مامبا ·· بينما كان الاخير جالسا على عرشه ·· ووثب الحارس على ديدى وقد أنشب أظافره فى ذراعه ·· بينما أخذ ديدى يخاطبه بلغته محاولا ابعاده دون جدوى وعندئذ صاح بزميله :

ـ بوجان ·· ؟ ماذا تنتظر ؟ أتتركنى بين أيدى الرجل ·· ألهذا رجعنا الى هنا ؟

ودوى صوت رهيب فى أرجاء المكان ·· وترنح الزنجى ليسقط هامدا فوق العظـــــام التى تغطى المكان ·· وعندئذ قال له ديدى :

ـ لقد تصرفت بسرعة ··

ـ ألم تطلب منى ذلك ؟ وعلى كل فلن يعود يضايقنا بعد الان ·· وبالتالى يدرك مامبا أننا جادون فى مسعانا ·· والان لنسرع باشعال النار ·

وكان مامبا جالسا لا يتحرك ·· شارد النظرات ·· ولم يلبث ديدى أن جعل النار تتقد ، وعندئذ تقدم بوجان ناحية الساحر وأمسكه من ذراعه وأخذ يحركه بشدة وهو يقول له بغضب :

ـ والان أيها الكهل المطعون ·· هلا استيقظت ·· ؟

وأخذت رأس مامبا تتأرجح يمينا ويسارا وقد فغر

فاه ، وتساقط ذراعاه الى جواره ‥ لقد كان بوجان يحرك جثة ‥ وازاء المشهد تقدم ديدى من زميله وقال له :

ـ ماذا تنتظر من هذه الجثة ‥ انك لن تخرج بأى شيء ‥

ـ حسنا ‥ يا ديدى ‥ سوف أجعلك ترى كيف أعيده الى رشده ‥ وذلك بتعريض قدميه للنار ‥

ودفع بوجان بالساحر ، وتدحرج الكهل فوق الارض ‥ حتى باتت قدميه قريبة من النار ‥ وعندئذ صاح ديدى بزميله :

ـ لا ‥ يا بوجان ‥ انه وما تفعل وحشى ‥ ولتعلم بأنه لن يتكلم مهما فعلت به ‥

وانحنى بوجان يتأمل العجوز الزائغ النظرات ‥ وصاح غاضبا :

ـ ذلك الكهل الغبى ‥ انه يكاد يكون ‥ مخدرا ‥ ومن يدرى فربما كان قادرا على ذلك ‥

وكاد الرجل يجن خاصة وأنه يكاد يفشل ‥ برغم عثوره على هدفه المنشود ‥ ويبدو أنه كان ما زال مصمما على المضى فى مهمته ‥

ـ لو كانت معى حقيبتى لاعدته الى رشده ‥ يا الهى ‥ كيف أجعله يتكلم ‥

وقال له ديدى : ـ الافضل أن نغادر المكان ‥

ـ اننى أرفض التراجع ‥

وما لبث أن انحنى ناحية النار ‥ ممسكا بغصن مشتعل ‥ ورفعه تجاه وجهه للتأكد من حرارته ‥ ثم قال معقبا : ـ انها طريقة مجدية لاعادته الى رشده

واقتيد القديس وجماعته تجاه النار المستعرة وقد راح الاهالى يصرخون ويرقصون فرحين برؤية الاسرى ‥

بينما جلس رانجا ينتظر والى جواره ساحر القرية ٠٠ وما أن اقترب الاسرى حتى خيم صمت رهيب على الاهالى ٠٠ وما لبثوا أن أحاطوا بالاربعة البيض على هيئة نصف دائرة ٠٠ وقال جراى :

ـ لقد تزينوا كما يفعلون فى الحرب وفى الحفلات ٠٠

ورد عليه القديس بقوله : ـ انني أتقدمكم للموت ٠٠

ودفع أحد الزيكو بسيمون أمامه ٠٠ وظل واقفا خلفه ، وعندئذ هب رانجا واقفا وأمسك بيده اليمنى برمح وباليسرى ببندقية .. وقال القديس مازحا :

ـ يبدو أنه خائف منى ٠٠

وتقدم رانجا صوب الاسير والقى بكلمات قابلها الاهالى بالصياح والتهليل ، وسأل تمبلار لوك :

ـ وما هذه الرواية الجديدة ؟ ٠٠ أتراه يتأملنى معجبا بى ؟ ٠٠

ـ لا ٠٠ انه يتصرف وفق عادة قديمة لديهم ٠٠ عارضا منازلته اذا ما أراد أحدنا ذلك ؟

ـ نعم ٠٠ لقد أدركت الان ٠٠ انه يعلم بأن جراى لن يجرؤ على ذلك ٠٠ ولهذا عمد الى اختيارى ٠٠ واننى لا أوافق على التحدى .. ألم أخبرك يا آن بأن الامل يلوح دائما فى أحلك الحظات ... والان .. الى برمح .. وفرك لوك رأسه كناية من اليأس .. والتخاذل ..

ـ محال يامستر تمبلار ٠٠ فيجب على المتحدى أن يقاتل خالى اليدين ٠

ـ بينما يمسك الخصم بكافة سبل الدفاع ٠٠ انه لامر غريب فى هذه البلاد ٠ أن يحتفظ الزعماء لانفسهم بهذه الميزات ٠

وتمتمت آن : سيمون ٠

ـ ماذا ؟ ·· اننى أنوى المزاح حتى النهاية ·· ولقد اعتدت دائما سلوك أى مخرج يتاح لى وقال له جراى بدوره : ـ انها مجازفة ·· قاتل رانجا ومعه رمحان وبندقية ·· ؟

وأضاف لوك : ـ خاصة وانه قوى البنية كما ترى ..

ـ ايها السادة ·· ماذا تريدون ·· انها فرصتنا الاخيرة .. ولنفترض اننى تغلبت عليه . فماذا يحدث ؟

ـ عندئذ تصبح زعيم القرية ·· !

ـ حسنا ·· حسنا ·· وإذن فالامر مشجع ·· وهل أتمتع بكافة امتيازاته ؟

وقال له لوك : ـ نعم ·· كلها ··

ـ أى العفو والاعدام ·· ؟ حسنا ·· وبالتالى الفرار ·· حسنا ·· ومن يدرى ربما أصبحت ربا لعائلة رانجا ؟

ـ هذا صحيح ·

وتساءل القديس : ـ ترى كم عدد زوجاته ؟

ـ عشرون على الاقل !

وارتعد القديس . واعتقد الزيكو ان تصرفه يدل على خوفه ، وبالتالى عادوا الصياح .. وعندئذ قال لهم سيمون : ـ حسنا ياأصدقائى الاعزاء ·· لا شك أنكم لم تتناولوا طعامكم بعد .

وابتعد الجميع عن المتصارعين ·· ووجد سيمون نفسه أمام الزعيم المتوحش الذى كانت ملامحه تنم عن الفرحة · وفتح فمه لتظهر أسنانه الحادة ، ووثب شاهرا أسلحته ·

وقال سيمون لاصدقائه : ـ انه يبدو سعيدا ·· واذا ما تغلبت عليه ؟

ورد عليه جراى بقوله : ـ لا يستطيع الرفض محافظة على هيبته امام رجاله

ـ حسنا . . والان . . لنبدأ ايها السادة .

وما أن فك وثاقه حتى راح يفرك يديه . . وذلك لتنشيط دورته الدموية . . بينما كان رانجا يتراقص وقد أمسك بتخاذل بندقيته وبرمح فى يده اليسرى . . وقد رفع يده اليمنى برمح اطبق عليه جيدا . ومضى يرقص محاولا العثور على الزاوية المناسبة للنيل من غريمه . . ووقف سيمون فى مكانه ، لا يتحرك ولو كان غيره مكانه لاستبد به الجنون فاطلق ساقيه للفرار . . واما هو فقد وقف ثابتا يفكر فيما يتعين عليه ان يقوم به، الامر الذى أدهش رانجا نفسه الذى وجد القديس وكأنه تمثال . . ولذا فلم يتردد رانجا وألقى برمحه بشده .. وفى تلك اللحظة تحرك سيمون . ومرق الرمح على مقربة منه حتى انه لامس قميصه ومزقه قليلا .. وعندئذ قال : ـ والان جاء دورى .

وتحرك القديس ناحية رانجا وانقض عليه حتى أن الرجل لم يجد الفرصة سانحة للتراجع .. وقبض سيمون عليه ينتزع منه البندقية . . وهكذا كاد رانجا يصبح مجردا من أسلحته .. ولم يصدق الاهالى ما يجرى أمامهم . كيف ؟ أيكون هذا الغريب متفوقا على رئيسهم ؟

وأسرع رانجا بالقاء الرمح الثانى تجاه سيمون الذى تفاداه بالقاء نفسه فوق الرمال . . وكان القديس مازال ممسكا ببندقية رانجا وضغط عليها وهكذا انتهى الصراع وضحك ورمى بالسلاح ناحية رانجا فى الوقت الذى تقدم رانجا ناحيته . وتفادى رانجا البندقية التى القى بها

القديس ناحيته ·· وأخرج من الرباط الذى يحيط بخصره خنجرا قصيرا وعصا قصيرة فى طرفها قطعة معدنية .. وألقى بنفسه فوق سيمون الذى هب واقفا ·· وقد تلاشى الجماهير من الاهالى مشجعة اياه فى صراعه ·· وما يلبث رانجا أن لامس جانب سيمون الذى ركع ·· وعندئذ صاحت آن فزعة .. بينما صاح الزيكو فرحين لانتصار زعيمهم .. وظل القديس لا يتحرك لبرهة وقد وضع يده على مكان الاصابة متظاهرا بالالم : وتمتم جراى : لقد حـزم ·· وقضى عليه ·· ونحن أيضا وهـز الدكتور كتفيه بحرارة وهو يقول :

ـ ان العنف لا يجدى .. لقد اخطأ بقبول التحدى . والان سوف يقضون عليه وعلى مرأى منا ·

وصاحت زوجته : لا .. لا .. يجب أن ينتصر .. ونادت على سيمون الذى كان ساكتا وكأنه ينتظر قضاء رانجا عليه .. وابتسم الاخير .. واعد عصاه الرهيبة والقى بنفسـه تجاه القديس بينما تعالت صـيحات ما كان يعانيه من ألم ·· وأمسك الزنجى من يديه وألقى بنفسه للخلف بحيث يتدحرج رانجا من فوقه ·· ولكنه تركة فى الوقت المناسب ليسقط الزعيم بعيدا فوق يده الت تحمل الخنجر ويسكن الرجل وقد انتشرت حوله بقعة تنم عن اصابته قاتلة ·

وصاحت المرأة : ياالهى ·· لقد انتصر

وشعرت بالتقدير لهـذا الغـريب الذى جـا لمساعدتهم بينما أعلن لوك له :

ـ والان قد أصبحت زعيم الزيكو الجديد

ـ انحنى القديس يلتقط بعض مخلفات رانجا واسر

الســـاحر ناحيتـــه وقـــد ركـــع مقـــدما له الولاء بغض النظر من كونه أبيض اللون .. ألم يهزم رانجا ، وبالتالى فهو رئيسهم الجديد . وأسرع الاهالى يرددون أغنية تحمل الاحتقار للمغلوب وتمجد المنتصر .. وتأمل سيمون الزيكو الذين أصبحوا يدينون له بالطاعة ثم قال مبتسما

ـ أخبرهم بأننى أوافق عن طيب خاطر فى أن أتولى رئاسة القرية .. واننى اريدكم ، انتم الثلاثة للعمل على خدمتى .. وتحت اشرافى كلية .

وصمت قليلا ولم يلبث أن أضاف وقبل أن يتبرع لوك فى الترجمة ـ

ـ قل لهم أيضا .. بأنه لن تكون هنـــاك قرابين الليلة .. وبالتالى .. لن يكون هناك عشاء ..

الفصل السابع عشر

أخذ لوك يتأمل القديس بدهشة وجزع .. واستدار ناحية جراى لعله يسانده .. واما جراى فقد كان سعيدا .. وما لبث ان جذب زوجته التى كانت تدفق باعجاب ذلك الرجل الذى بعثت به السماء لنجدتهم .. وأخيرا قال لوك : ان الزيكو لن يوافقوا على تلبية ندائك بل سيوافقون على اعطائك الدكتور جراى وزوجته ·· وأردف بصوت مضطرب :

ـ انهم لن يوافقوا على غير ذلك

ـ تقصد ·· لن يرضوا فيما يتعلق بك ·

وقال له لوك مؤكدا : لقد أعدوا المائدة للاحتفال بعيد القمر · ويجب اتمام الحفل

ـ واذن فأنت عندهم بمثاة الطبق الوحيد ؟ يالهم من قوم يثيرون دهشتى ؟ هل هناك احتفال يشتمل على طبق واحد اجبرهم بأننى اعدهم بتقديم طبقين لهما .

وراح الزيكو يتابعون الحوار الذى يدور بين رئيسهم وخادمه ·· الذى يقوم بالترجمة له ·· وأخيرا قاله له تسبلار :

ـ أتراك نسيت ياصديقى لوك ·· بأن لدينا صيدا ثمينا على مسافة قريبة منا ؟

واستطرد لوك يقول أتعنى الحيوانات ؟ ·· انهم لا يبغون قتلك بل يريدون لحما بشريا .

ــ وهل أشرت الى غير ذلك ؟ أترانا نجد خيرا من بوجان وديدى ؟

واشرقت ملامح لوك رغم انه لم يكن راضيا عن هذه

الطريقة ٠٠ وراح يشرح الامر للزيكو الذين وافقوا على التوعل السعى وراء الرجلين اللذين حضرا للسخرية منهما ٠٠ خاصة وانهم حسوا ازاء القديس بالرغبة فى تحقيق ما يميله عليهم ٠٠ لما كان يتمتع به من قوة خفية تركت فى نفوسهم أعمق الاثر ٠٠ وأسرع جراى ناحية تمبلار قائلا : اننى لا أوافق ٠

ـ على أى أمر ياعزيز جون

ـ اتترك الرجلين لقمة سائغة للزيكو ؟

ـ واذن ؟

ـ اننا لانملك هذا الحق ٠٠ حقا انهما قد ارتكابا الكثير من الجرائم ٠٠ والعدالة وحدها هى التى تقرر أرهما ٠٠ وأما نحن ٠٠

ـ لقد كادت حياتنا تنتهى وينتهى بنا المطاف فى النار ٠٠ وهو الامر الذى لا أحبه

وتقدمت آن ناحية القديس وتمتم بكلمة واحدة هى « شكرا » ٠ وابتسم

ـ حسنا .. سنذهب لمساعدة أعدائى كرغبة زوجك بشرط أن تتجه ومعك آن الى البيت برفقة لوك وعليك ان تلجأ بالوك الى سلاحك اذا ما دعا الامر .. وليكن ذلك فى الوقت الملائم وقبل ان يقضى عليك الحيوان المهاجم ٠

والقى القديس بنظرة طويلة على جماعته واخذ لوك يلقى بأوامر القديس على الرجال ٠٠ بأن يستعدوا للرحيل وان يختاروا أفضل الاسلحة وان يعثروا على يوجان وزميله ٠٠

ـ وليستعد عشرة رجال لمرافقة السيدة جراى حتى بيتها ٠٠ ولسوف يسهروا على راحتها وعلى راحتك يا

لوك ٠٠ محافظين على حياتكما فهذا ما يريده الرئيس القديس ٠

وسارت الامور كما أراد لها أن تكون دون أدنى اعتراض من الزيكو ٠٠

فى تلك الاثناء كانت رائحة الشواء البشرى تزكم الانف فى كهف مامبا .. ورفع ديدى راسه وقد بدا القلق جليا فى عينيه ٠٠

ـ ما هذا يا بوجان ؟ لماذا لم يعد يئن ؟ ٠٠

ـ لانه مات أيها الغبى ٠٠

وتراجع ديدى للوراء ٠٠ وقد بدا وجهه شاحبا كالحيوان الهارب .. ولوح بوجان له بقبضتين وصاح به .. اذهب الى الجحيم .. لقد سخر منا الغبى ورحل دون أن يطلعنا على ما نريد ٠٠

وراح يتجول فى الكهف غاضبا ٠٠ وقد أفزعه أن يكون قريبا من الثروة واذا بها تفلت من يده على غير انتظار .. وبدأ بوجان يتفحص كل ما فى الكهف .. مزمجرا :

ـ لابد وأن المجنون كان يحتفظ لديه بكمية من الدواء ٠٠ ولنعثر على هذه الكمية ونتعرف بعد ذلك كما يحلو لنا .. وما اظن احدا ينكر الدواء بعد ان اعلن عنه الدكتور جراى فى نيروبى ٠٠

وضحك قليلا .. وقد تسمر فى مكانه .. وتأمله ديدى وقد أحس بالفزع يسرى فى أوصاله ٠٠ وتراجع الى الوراء حتى مدخل الكهف وقد قرر الفرار تاركا بوجان وحده يبحث عما يريد معرضا نفسه لما يحلو له من مخاطر ٠٠ خاصة وأنه على دراية بمعالم الطريق ولو اضطر للاتجاه شمالا وحتى نهاية النهر ٠٠ وليواجه

بوجان الزيكو الذين سيبحثون عنه بعدما قذفوا اللحم البشرى ‥ وها هو ديدى وقد خرج من الكهف وبدأ يتنفس الهواء النقى مبتعدا عن الكهف محاولا أن ينسى منظر مامبا وهو يموت ‥ وما أن تقدم خطوات قليلة حتى أبصر ببعض المشاغل تحت الاشجار الباسقة ‥ وتقدم ديدى خطوة جديدة ليدقق النظر، وعندئذ سمع صراخا يتردد فى أرجاء الغابة ‥

ـ انهم الزيكو ! ‥

وأما بوجان فقد كان فى داخل الكهف يواصل البحث عن الدواء ‥ وكان فى تلك اللحظة يزحف تجاه ممر ضيق ‥ وقال مزمجرا : سأكون أكثر مكرا من العجوز الغبى ‥ وأصل الى ما أريد ‥

واستقر الفزع بديدى ولذا عاد ادراجه ونادى على بوجان بقلق :

ـ هيا بنا ‥ محال أن نبقى ‥ لقد حضر الزيكو ‥ وقد سمعت أصواتهم ‥

ـ اذن فقد انتهوا من الحفل ويبدو انهم حضروا لتقديم الشكر لنا ‥

ـ لا ‥ لا ‥ انهم يطلقون صيحات غاضبة ‥ وما أظنهم بأى حال يقدمون لنا الولاء عندما يبصرون بمامبا وقد فارق الحياة ‥

ـ دع هذه الامور جانبا وتقدم الان لمساعدتى ‥ فقد اكتشفت خزانة مامبا .. والحقيقة اننى كنت على ثقة من نجاح مهمتنا ‥ أنظر ‥

وعلى ضوء المشعل ابصر ديدى بالعديد من اللفائف والعبوات الصغيرة والاوانى ‥

وقال بوجان معلقا على المشهد : انه المعمل الكيمائى لمامبا ·· ويبدو أنه كان يعد الدواء فى هذا المكان ·· والان لنأخذ كل شىء .. لنتمكن من اعداد الدواء فيما بعد ·

ــ نحمل كل شىء ؟ ولكن كيف يتسنى ذلك ؟

ــ فى حقيبته ·· فلتمد لى يد المساعدة بدلا من الصياح كامرأة متقدمة فى السن ··

ــ انك تنسى الزيكو ·

ــ لنتركهم الى ما بعد ·· ان معك سلاح وكذلك أمرى ·· وعندما نقضى على أوائل المهاجمين يدرك الباقون الحقيقة ويلوذون بالفرار ·· والان لنجمع كافة هذه الاشياء التافهه التى خلفها مامبا خلفه لنتمكن فيما بعد من انتاج الدواء ··

وهكذا أسرع ديدى بالقاء المستحضرات التى تفى مامبا أيامه فى اعدادها ·· فى حقيبة أعطاها له بوجان ·· وكان يفعل متلهفا وكأنه الشياطين تطارده ·· فكلما انتهى من ذلك كانت أمامه فرصة للفرار ··

وهناك فى الغابة المجاورة واصل الزيكو الصياح والرقص والغناء وضحك سيمون وهو يقول : انهم فرحين لقرب الحصول على الشواء البشرى ··

وعارضه جراى بقوله : انك مازلت مازحا ·· ألا تخجل من هذا التفكير ··

ــ لا ·· خاصة عندما أتذكر بأن الهاربين كانا يريدان لنا هذا المصير ··

وأسرع أحد الزنوج ناحيتهم والقى ببضعة كلمات قام جراى بالافصاح عنها :

ـ لقد وجدوا آثارا حديثة ٠٠ ويبدو أن بوجان وديدى كانا مارين من هذا منذ قليل ٠٠

وابتسم القديس وأردف قائلا : ـ لم أكن بحاجة لتتبع الاثر او البحث عنها .. لمعرفة هدف بوجان فهو لا يفكر الا فى كهف مامبا ٠٠ للكشف عن الدواء ٠٠ وهو على استعداد لتحقيق هدفه لاشعال الفتنة فى ارجاء كانابا .

وكان القديس يتتبع ما يقوم به الزيكو من حركات فرحين لقربهم من مدخل الكهف .. وكان القمر يبعث بضوئه ليغطى المكان كله ٠٠ وفجأة قال سيمون : لقد أبصرت شبحا قرب مدخل الكهف ٠٠

وسأله جراى : ترى من يكون ؟

ـ لا أعرف زز لانه اختفى سريعا ٠٠

وأتى اشارة تنم عن ضيقه ٠٠ وأمسك ببندقيته ٠٠

ـ كان من الافضل لو انك ذهبت مع زوجتك الى مقر البعثة ٠٠

ـ اننى لا أخشى عليها طالما كان لوك معها ٠٠

ـ حسنا ٠٠ لقد فكرت فى أمرك أكثر ٠٠ ما هو الحال بالنسبة لزوجتك ٠٠ لان تصرفاتك تضايقنى ٠٠

ولعلك الان تتوسل الى أن أطلق سراح بوجان ٠٠ ولعلك لن تطمئن الا اذا أصابنى برصاصة ٠٠

ورد جراى على سيمون بكلمات من شأنها أن تزيد اعتداده بنفسه :

ـ ما من أحد يمكنه أن ينالك يا سيمون ٠٠ وبوجان أتفه من ان يفعل ذلك .

وداعبه تمبلار بطريقة ماكرة : اذا فأنت تعتبرنى مخطئا ظريفا .. والان .. هل تعتقد ان مامبا سيبوح بما عنده ٠٠

ــ بل انه يفضل الموت على أن يفعل ·

ــ واذا ما كان الرجلان قد استخدما القوة معه ؟

ــ لعــل ذلك لا يكون قد وقع والا عجــزنا عن انقاذهما ··

وقال له سيمون : انني أتصور أنه ··

وفي اللحظة ذاتها ظهر بوجان وزميله أمام مدخل الكهف ·· ها هما ·· ! ··

وبدأت بعض الطلقات النارية تدوى ·· اذ كان ديدى يحاول افزاع الزيكو ويدفعهم للفرار ..

ثم قال لبوجان : ان الوسيلة الوحيدة أمامنا هى التستر بالظلام .. ولننتهز اللحظـــات الاخيرة من الليل .. وما هى الالحظات حتى يشرق النهار ، وعندئذ لا يحول أمامهم عائق لادراكنا وخاصة عندما يكتشفون ما حدث لمامبا .. اسرع .

وقال له بوجان الذى كان يحمل الحقيبة فوق كتفه :

ــ حسنا ·· لقد أديت دورى ·· وليذهب بى الشيطان الى الجحيم اذا لم أتمكن من اعداد الدواء · والان جاء دورك لاخراجنا من هذا المأزق ··

واستعد بوجان للقفزوامسك بهديدي : ليس عنطريق الربوة .. فانهم عندئذ يسرعون لمطاردتنـــا للقضـــاء علينا .. وفكر ديدى فى التخلى عن بوجان والفرار بمفرده ·· ولكنه عاد فأدرك بأنه يتعين عليه مواجهة الزيكو فى بداية الحيلة يعضده زميل ··

ــ هيا ·· استدر ناحية اليمين ··

وعندئذ قال له بوجان بحدة :

ـ تقدمنى ·· وأسرعا خارج الكهف وبدأت الصيحات تتعالى ·· ويبدو أن الزيكو قد أبصروا بهم على التو ·· وتسلق الرجلان الصخور ، وراحا يسرعان فى اتجاه القمة ·· وأخذ بوجان يقفز وهو يردد وكأنه يشجع نفسه : أسرع ·· أسرع ·· ورغم هذا فقد توقف الرجل البدين لبرهة ، وأطلق بعض الاعيرة النارية لارهاب الزيكو ·· وقال بنشوة

ـ لقد أصبت أحدهم ·· ورفع ديدى مسدسه بدوره ولكن بوجان أشار عليه قائلا :

ـ لا داعى للتفريط فى ذخر ذخيرتنا .. لقد أفزعتهم بالقدر الكافى ··

وهناك فى الكهف كان يدور المشهد التالى : دخل القديس ومعه جراى يرافقهما بعض الزيكو وما أن تقدموا خطوات قليلة حتى أبصروا بالحارس القتيل ثم بمامبا ·· وانحنى سيمون فوق الرجل وأدار العجوز ليرقده على ظهره ·· ثم هب واقفا وهو يقول : فارق الحياة ·· ويبدو ظاهريا أن ذلك تم نتيجة التقدم فى السن ·· وعلى كل فيبدو أنهما لم يقتلاه عن عمد .

ولم يكن هناك مجال لتهدئة الزيكو ·· خاصة وقد أبصروا بساحرهم الكبير مقتولا ·· ولذا فقد أسرعوا يتسابقون تجاه المدخل ، وتبعهم القديس بخطى أقل منهم اسراعا .

ووقف لبرهة يتأمل الطبيعة وهى تستيقظ ، وعادت الحياة تدب فى الارجاء وامتلات السماء بالالوان الزاهية . وهنا قال سيمون : ـ ان أصدقائنا من الزيكو متلهفون للامساك بالرجلين وما هى الا دقائق ثم تسطع الشمس ، وعندئذ تصبح فرصة نجاة أحفادى ضئيلة .

وكان الرجلان ما زالا يقفزان فوق الصخور محاولين الفرار عبر تلك الاحجار التى تحتوى على العديد من الكمائن والكثير من المخابىء ·· وأبصر ديدى بممر بين الصخور .. وادرك بأن تلك الفجوة ستخفف عنهما عبء الالتفاف حول الصخور ، ولذا فقد أسرع ديدى بالتسلل اليها ·

ـ من هنا ··

وأسرع خطاه وعلى حين غرة هوى على وجهه فوق الارض الصلدة ·· وحاول القيام دون جدوى ·· وضغط على شفتيه لئلا يفلت منه انين .. وتمتم :

ـ ان كامل قدمى يؤلمنى ·· لقد انزلقت ··

وأسرع بوجان اليه وبعد أن قام بفحصه قال له :

ـ لقد كسرت قدمك ·· يا عزيزى ديدى ··

ـ لا ·· لا ··

ـ بل انه الواقع ..

ـ لا يمكننى البقاء هنا ·· ساعدنى ·· يمكنك أن تحملنى . ولنترك هذه الحقيبة .. ولتأخذنى معك ..

وما كان ذلك ممكنا ·· اذ كيف يتخلى بوجان عن تلك الاعشاب والاشياء التى قاتل منذ أيام للحصول عليها . فقال لزميله :

ـ تشجع قليلا يا ديدى ·· فلو اننى حملتك فوق كتفى لما تقدمنا أكثر من مائة متر الا ولحق بنا الزيكو ·· ولاسرعوا الخطى أكثر مما يفعلون الان ·· والان وداعا يا ديدى ··

ـ أتوسل اليك ألا تتخلى عنى ··

ـ محال يا صديقى ·· ان لدى الكثير مما يتعين على القيام به ··

ـ انهم سيفتكون بى ٠٠ و ٠٠

ـ على كل فلن تشعر بشىء ٠٠ وماذا كنت أفعل يا ديدى لو كنت مكانك ؟ كنت فى هذه الحالة اقبع هنا فى انتظار الزيكو واطلاق النار عليهم تباعا ٠٠ وفى تلك الاثناء افكر فى صديقى الذى يلوذ بالفرار وحده راجيا له التوفيق ٠٠ هذه هى الطريقة البطولية ٠٠ التى يتعين عليك اتباعها يا صديقى الشجاع ٠

وما لبث بوجان ان ابتعد عن زميله ماضيا فى طريقه لا يلوى على شىء وقبل أن يتوارى قال لزميله :

ـ عليك بالمقارنة لاطول ما يمكنك ٠٠

واختفى بوجان خلف الصخور ٠٠ وأمسك ديـدى بدموعه التى كادت تتساقط ٠٠ بعدما أدرك بأنه قضى عليه .. بتخلى بوجان عنه .. لقد أراد فى وقت ما الفرار وحده تاركا بوجان يواجه الزيكو ، وها هو القدر يقرر عكس فلك ٠٠ وزحف ديدى ليفاجأ برؤية زنجى أمامه ٠٠ وصوب تجاه القادم ودوى طلق نارى وسط سكون الصباح وترنح الزيكو وأعقبه آخر ٠٠

وعندئذ ضحك القديس الذى كان يتسلق الصخور ومعه جراى وقال للاخير :

ـ لقد ابتدأ الحفل ٠٠

ـ يا له من امر بشع .. ان هؤلاء الزيكو يحلو لهم التصرف كالاطفال ..

وتقدم القديس جراى .. وأطلقت بعض الأعيرة، وما لنسرع ٠٠

وتقدم القديس جراى .. وأطلقت بعض الاعيرة ، وما لبث الصمت أن خيم على الربوة ٠٠

وأبصر القديس بديدى ملقيا على ظهره وقد أصابته الرماح ‥ والزيكو حوله يتأملونه ‥ بينما سالت دماؤه تغطى الارض ‥ وفى السماء راح نسر كبير يحوم باسطا جناحيه ‥

وتمتم جراى : ـ وبوجان ؟

ـ يبدو أنه تخلى عنه هنا ‥

ـ أنه لن يتمكن من المضى وحده ‥ خاصة وانهم يحلمون باصطياده ‥ وأنت وحدك ‥ ولا تنسى أنك رئيسهم ‥

ـ اننى رئيسهم رغم تحدثى بلغتهم وكراهيتى لطبقهم المفضل ‥ والحقيقة أنه يصعب تخيل الامر وعلينا أن نتدارسه سويا ٠

وفى تلك اللحظة اهتز المكان ‥ كما لو كانت الربوة حيوانا ثائرا يريد التخلص مما يضايقه وأخذت الاحجار تتساقط فوق المنحدر ‥ ونعالت صيحات الزيكو . وقد استبد بهم الفزع وهم ينطلقون ناحية القمة . وابصر القديس بما أدركه الزيكو قبله ‥ انه بوجان ‥ والذى كان قد ادرك القمة متصورا بذلك انه خرج من المأذق . ونادى عليه جراى :

بوجان ـ وردد سيمون ‥ بوجان ‥ توقف ‥

وبعد برهة سمعوا بوجان يقول لهم وقد بدا صوته خافتا لما يفصل بينهم من مسافة ‥

ـ لتتوقفوا أنتوم ‥ اننى لم أعد أخشاكم ٠

وقال له القديس : ـ أيها المجنون ‥ لن تتمكن أبدا من الخروج من نطاق الزيكو ‥ فلسوف يسعون ورائك أينما ذهبت وييلغون أصدقاؤهم لمساعدتهم فى الامساك

بك ·· وقد تعتمد على بعض القوم ، واذا بك تفاجأ أنهم شركاء الزيكو ·· ثم ··

وتوقف قليلا ثم أردف قائلا :

ـ ثم ·· كيف تتناول طعامك ؟

وقال له الرجل البدين : ـ لن يضايقنى هذا الامر كثيرا ··

ـ رغم هذا ستقع بين ايديهم .. وعليك بالوثوق بنا

وظل بوجان يتأمل الرجلين وهو غير مصدق لعينيه ·· اذ كيف استطاع الدكتور جراى ان يهرب من مصيره المحتوم ؟ ومعه ذلك الغريب الذى يعرض عليه حمايته ولكنه ليس بحاجة لاية مساعدة ولسوف ينجو بمفرده بعد ما تخلص من ديدى وأصبح وحيدا ·

ولذا فقد صاح : ـ لا داعى للاهتمام بأمرى .. سأجد الطريق النجاة دون حاجة لكما ·

ورفع بسلاحه عاليا وهو يصيح : ـ لن تمسكا بى أبدا ·· بل ··

ودوى طلق كان بوجان يستهدف به سيمون الذى لم يحرك ساكنا ·· بينما انكفأ الزيكو أرضا على وجوههم ·· وعندئذ قال لهم : ـ هدئوا من روعكم يا اصدقائى فلن يتمكن من النيل منا على هذه المسافة .. ولن يكون الحال كذلك بالنسبة لنا ان حاولنا .

وقد ما زال ممسكا بسلاحه ·· وأسرع جراى يقف أمامه ··

ـ لا يا سيمون ·· فلندعه يهرب ·· ويكفى أننا أصحاء سالمون ولم نصب بأذى ··

ـ انك رجل غريب الاطوار يا جراى ·· أنتركه

وشأنه . هل نسيت مقتل فريدى .. واغتيال مامبا والمصير الذى كان يعده لنا ..

ـ انك على صواب .. ويكفى أن نحيط بالربوة لئلا يتمكن من مغادرتها ..

وقال له القديس موافقا : ـ حسنا . . ولتبق انت هنا برفقة الرجال ..

ومد يده بالبندقية ناحية جراى الذى بدا غير راغب فى تناولها . . الامر الذى دفع تمبلار لان يدافع بالسلاح بين يدى الرجل ..

ـ لم يعد هناك مجال للنقاش .. وان كنت أوافق على اقتراحك فلن يكون ذلك الا وفقا لتفكيرى .

وأردف قبل أن يبتعد : ـ وعليك أن تشرح للزيكو كيف يعمل زعيمهم على الامساك بالفريسة بيديه .

وتوارى اذ كانت خطته تختلف عما يجول براس زميله .. مستهدفا بعض الاشجار العالية فوق الربوة ، وهكذا راح يتنقل من مكان لاخر متسلقا الصخور .. وظل بمنأى عن أنظار بوجان لفترة ما ، وابصر أمامه بانحناءة فى الطريق دلف اليها واذا به فى طريق مسدود .. تحيط به الصخور .. ترددت ضحكات بوجان عبر المكان ..

ـ حسنا .. اذن فأنت تنوى القيام بلعبة ظريفة ..

وحاول بوجان اصابة سيمون الذى تحرك جانبا .. وعندئذ ابتسم سيمون وقال للرجل المجنون : ـ حاول المحافظة على ذخيرتك أيها الغبى ..

وأطلق بوجان رصاصة ثانية وثالثة .. ورفع القديس رأسه .. ليبصر ببوجان وقد أخذ يقفز فوق الصخور

بخفة وقد أمسك فوق كتفه بحقيبة ·· وخيل اليه بأنه يطير .. محاولا الفرار من مطاردته .. دون ان يتوقف ليتبصر فى حقيقة أمره ·· وأدرك بوجان أن الطريق قد

أصبح وعر حتى لا يتقدم .. واما سيمون فقد اكتشف ممرا قامت الحيوانات بشقه نتيجة تزاحمها وبالتالى مهدته بأقدامها .. وبعد قليل كان القديس فى مستوى الرجل الهارب ·· وعندئذ صاح مناديا عليه :ـ عليك بتسليم نفسك يا بوجان ··

وأحس بوجان بحرج موقفه ، ولذا أمسك بكلتى يديه بالحاجز الصخرى القابع أمامه ·· وأدرك بـأنه لا يستطيع التقدم أو التراجع .. وذلك النداء يطارده .. عليك بتسليم نفسك ··

وبدأ الدوار يهاجمه · وأحس آن سلاحه أصبح عديم الجدوى ولذا ألقى به بعيدا ·

ـ عليك بتسليم نفسك ··

واصطدم السلاح ببعض الاحجار ·· وتسـابقت الاحداث ·· اذ يبدو أن التسلق فوق الصخور والقفز فوقها قد ساعد على تحركها ·· وهكذا بدأ الانهيار ·· وتساقطت الكتل الضخمة متعاقبة لتحدث دويا هائلا اهتزت له الربوة كلها .. وابصر بوجان وهو معلق فى مكانه الموت يطبق عليه ·· وما عادت تجدى نصائح سيمون له ..

وقف القديس الى أعلى يشاهد وهو عاجز هذا المشهد الحزين لنهاية رجل شرير ··

هز جراى رأسه عندما أدركه القديس ·· وتمتم :

ـ لقد نال بوجان ما يستحق

ـ ولكننا لم نشاهده يقتل بأيديهم ··

ـ هذا صحيح يا جون ·· وذلك لان الانهيارات لا تقع كل يوم ··

وتأمل وجوه الزيكو الذين كانوا يحيطون به ·· وقد بدت ملامحهم خالية من ةشعور بالانتصار أو الفشل ·· ويبدو أنهم رضوا بعقاب الربوة ·· وقال جراى وهو يتتبع زميله بنظراته : ـ من يدرى ·· فقد يكشف عن سر ماميا ·· ولسوف أبذل المزيد من الجهد لهذا الغرض ··

وربت بيده على كتف سيمون وسارا تجاه الغابة . . وكان الطريق منبسطا أمامهم وفى نهايته تقع موكولو :

مقر الدكتور جراى ··

واستطرد الدكتور جراى قائلا : ـ ان وجودك على مقربة منى سيجعل أعمالى أكثر سهولة لكونك زعيم الزيكو ·· ؟ ··

وقال له تمبلار مصححا : ـ زعيم غير حاضر ؟ ··

ـ اذن ·· أتنوى ؟ ··

ـ الرحيل بلا شك ·· فان العادات الظريفة لهذه القبيلة لا تتفق وميولى . . خاصة وان لدى طريقة معينة فيما يتعلق بطريقة الطهى ··

وضحك سيمون ·· وفى تلك الاثناء مر على مقربة منه احد الزيكو ·· وأشار اليه بمودة وابتسم الزنجى ولاحت أسنانه الحادة ·· وعندئذ قال سيمون :

ـ ما كان أحد أطباء الاسنان ليوافق على تقويم أسنانى بهذه الطريقة ٠٠ وهكذا ترى أنا ما زلنا غير متقدمين فى هذا المجال فى نيويورك ٠٠

وبعد بضعة ساعات أدرك مقر البعثة وفد صغير من الزيكو ٠٠ يتقدمهم رجل ضخم وكانوا يـرافقون الرجلين ٠٠ وما أن أبصرت آن بالقادمين حتى قفزت صائحة :

ـ وأخيرا قدمت يا جون ٠٠

وما لبث أن لحق بها لوك تاركا جانبا البندقية التى ظل ممسكا بها منذ وصولهما ٠٠

وقال لها جون : ـ لقد انتهى كل شىء ٠٠ ويمكنك الان يا لوك التخلص من سلاحك ٠٠

وتمتمت آن : ـ يا الهى ٠٠ أنت تدرك كم ارتعدت ٠٠ انك بخير يا جون ٠٠ ؟ •

وأنت يا سيمون ؟ ••

وهز الاخير راسـه .. وما لبث ان سـرد جراى على زوجته تفاصيل ما جرى ٠٠ وعندئذ نظرت طويلا الى تمبلار : ـــ كم ندين لك بالاعتراف بالجميل .. وبدون . وأبصرت الزيكو الذين حضروا معهما ٠٠ وقـالت متسائلة : ـ وماذا ٠٠ عن أمرهم ؟

وقال سيمون : تقصدين أتباعى ؟

وأضاف جراى بدوره : ـ

ـ انهم حراس الزعيم الجديد ٠٠ ليته يقرر البقاء فى موكولو ٠٠ عندئذ كانت كل أمورنا تستقيم ٠٠

وقال له سيمون : ـ لنعمل على تسوية هذا الامر سويا .. انى ساعمل على جعلك ممثلا لى وهكذا يتاح تعليمهم بطريقة سيره ..

ـ وهل يمكننى ذلك ؟

ـ انهم عندئذ سيطلبون منك معرفة ابنائى وهكذا لك تعليمهم بطريقة يسيره ..

وانتشرت الابتسامات فوق وجوه الحاضرين .. بينما أردف القديس يقول مازحا :

ـ وليس هذا كل الامر .. فيجب عليهم الامتناع عن تناول اللحوم البشرية .. وعلى اساس هذا الشرط أوافق على العودة .. وعندئذ نقوم معا بالتهام كل ما يقدمونه الينا من طعام ـ اما اللحوم البشرية فلا .. لا .. لا .

تمـت

والى عودة أخرى للقديس

الشركة الشرقية للنشر والتوزيع
بيروت ـ لبنـان